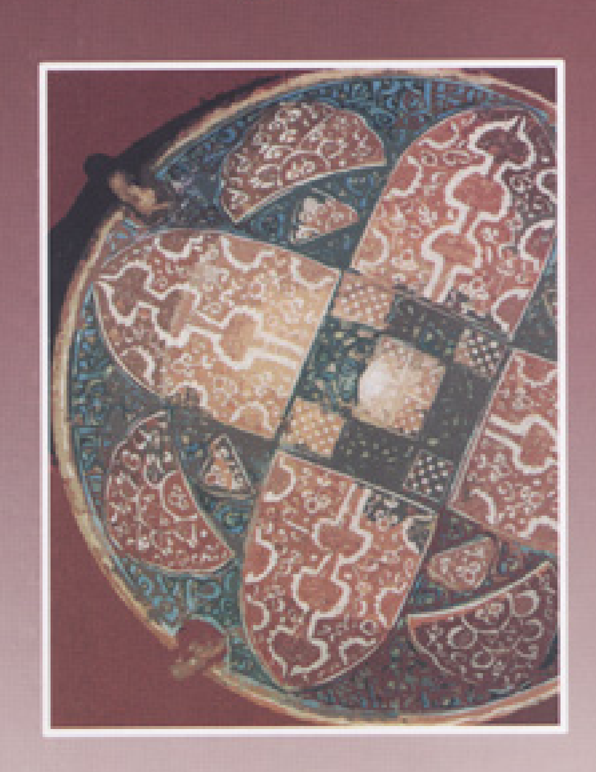
ALI SHARIATI

الآثار الكاملة (٢٠)



علي شريعتي





الأخلاق

للشباب والطلاب والناشئة

دار الأمير

الأخلاق

للشباب والطلاب والناشئة

إسم الكتـاب : الأخلاق للشباب والطلاب والناشئة

إسم المؤلـف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : موسى قصير

تنضيد وإخراج : محمد شراد الناصري

تصميم الغلاف : بشير محمد

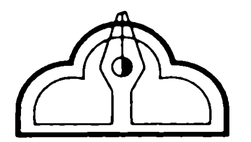
الترقيم الدولي : ISBN 978-9953-494-21-0

الطبعة الأولى : ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م

الطبعة الثانية : ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م
(بعد تدمير الدار خلال حرب تموز ٢٠٠٦ م)

الناشـــر : دار الأمير للثقافة والعلوم ش.م.م

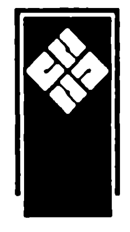
التوزيع في العراق:
دار الباقر ــ النجف الاشرف هــ :07801263579



دار الأمير للثقافة والعلوم
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

تلفاكس: 49 64 27 1 961+
ص.ب : 113/5551 الحمرا ـ بيروت ـ لبنان

Website: //http:/www.daralameer.com
E-mail: daralameer@daralameer.com



مؤسسة نشر آثار
الدكتور علي شريعتي

تلفاكس: 2232729 21 98+
ص.ب: 6516-19395 طهران
www.shariati.com

سلسلة الآثار الكاملة ـ ٢٨ ـ

الأخلاق

للشباب والطلاب والناشئة

الشهيد الدكتور علي شريعتي

تعريب
موسى قصير

حقَّقه وحرره للنشر
محمد حسين بزي

دار الأمير


بسم الله الرحمن الرحيم

وتستمر دار الأمير ...

إذا كانت مسؤولية المثقف تجاه أمته وتحديات لحظتها التاريخية هي الهم والرسالة التي حملها علي شريعتي، فإن نشر فكر الوعي الحضاري بدوره مسؤولية، إذ كيف يصل هذا الفكر للناس دون ناشر مسؤول؛ يعطيه العناية ويكفل أن يظل هذا الزاد الثقافي حاضراً في الوعي؛ متاحاً للأجيال لتنهل منه في صياغتها لرؤى التجديد والنهضة وتستثمره في حركة التغيير وصناعة المستقبل.

وقد وعت دار الأمير هذه المسؤولية منذ تأسيسها عام ١٩٩١م، وحملتها بأمانة، وتحملت تبعاتها المادية والمعنوية في مواجهة حسابات السوق وفكر الجمود، ورغم الدمار الكُلّي الذي لحق بالدار في حرب تموز ٢٠٠٦م، والذي كان أول ضحاياها كتب علي شريعتي التي أحرقتها صواريخ الهمجية الصهيونية؛ حين دكّت مقرّ دار الأمير في بيروت ومعرض الدار في بنت جبيل، فإن إرادة البقاء وعزيمة الإنتصار بقيت متوهجة، وها هي دار الأمير تستأنف دورها ونضالها بعد أشهرٍ معدودةٍ من العدوان، وتقدم من جديد فكر شريعتي في إخراج متميز، وتنهض من بين الركام مستعيدة دورها المسؤول في نشر ثقافة العودة إلى الذات، والنهضة، والمقاومة في مسيرة الفلاح التي شعارها: **إلهي علمني كيف أحيا . .، أمَّا كيف أموت، فإني سأعرفه**. والحمد لله الذي نصر عبده.

محمد حسين بزي

مقدمة الناشر

إلهي علمني كيف أحيا..؟

أما كيف أموت فإني سأعرفه.

بهذه الكلمات المشكاة إفتتح علي شريعتي رسالته التي بعثها من سجنه لطلابه عام ١٩٧٥م.

نعم، خاطب المولىٰ الكريم ودعاه أن يعلمه فن الحياة ـ المنهج ـ، خاطبه سبحانه أن يعلمه كيف يحيا بعشق حتى لا يكون الموت إلاَّ محطةً لا تؤرق مسيرته نحو اللَّه من خلال الحياة ـ الناس ـ، طريق اللّه سبحانه عند شريعتي حتميّ المرور بالناس، لا بل لا يدرك الطريق ولا يستقيم إلاَّ بالناس ـ البلاغ والمسؤولية ـ.

بالأمس القريب أخبرني صديق صدوق يُدرس في إحدى جامعات دولة الإمارات العربية المتحدة، أخبرني

عن حادثة كانت بمثابة بلاغ في المبنى مسؤولية في المعنى وهي:

أنَّ أحد الأساتذة في علم الإجتماع باليابان يدرِّس طلابه علم المنهج، وقد اتخذ هذا الدكتور الياباني من علي شريعتي كمنهج المادة الأساس، مما إستدعى نقل الكثير من بحوث شريعتي للغة اليابانية حتى يتسنى للطلاب درسها كمادة ـ نموذج ـ في علم المنهج.

يا الله كم كانت رائعة وكم كانت سهلة مواءامات شريعتي بين طريق اللَّه وطريق الناس، حتى اصبحت مواءامات الأمس حقائق اليوم حتى عند الياباني البوذي..!

أحياناً يكون العمر من جنود اللَّه إضافة للرجال..!

العمر الذي عاشه شريعتي لم يتعدى ٤٤ سنة..!

أربعٌ وأربعون عاماً ولم ينتظر جزاءً ولا شكورا... إلاَّ من ربٍ رحيم... أربعٌ وأربعون عاماً كان ينتظر فيها المصيبة في كل آن.. وهو القائل في وصيته المشهورة:

يجب عدم النظر إلى أعمالي على أنها أعمال علمية تحقيقية فحسب، بل يجب أن نتلقاها كصرخات من شدة

الألم والأسىٰ، ودلائل بإتجاه الطريق، وهزّات من أجل الصحوة، ومشاعل على الطريق، ونظرات كليّة في إطار الدين ودعوة واحدة ورؤى، وأخيراً نوعاً من التعبئة الفكرية والروحيّة في المجتمع.

كل ذلك كتبته وأنا منفّى وتحت ظروف ضاغطة، ومؤمرات محاكة، وفي حالٍ كنت أنتظر فيها المصيبة في كل لحظة....

وأترك للقارىء فهم ما قصدت، والسلام

محمد حسين بزي

بيروت ٧/ ٢/ ٢٠٠٦م

مقدمة التعريب

في كتابه هذا قام الدكتور علي شريعتي باستعراض عدة مفاهيم أخلاقية وشرحها بأسلوب عملي مبسط وجريء وذو مغزىٰ أحياناً، لأنه ألّف الكتاب في عهد الطاغوت البهلوي، وأراد أن يدرّس هذا الكتاب في المدارس للناشئين في الصفوف ٤و٥و٦ الابتدائية. وبالفعل استطاع أن يحرر من خلاله روحه الثائرة وصراحته وتمرده ليساهم من خلاله في انضاج الجيل الذي حقق الثورة عام ١٩٧٩م وانتفض علىٰ واقعه الفاسد. وقد طبع منه عشرات الطبعات حتى الآن، فصحيح أنه لم يعد يدرس في المدارس، وحلّت مكانه المناهج الجديدة، لكنه مازال متداولاً بين الكبار والصغار لأسلوبه المتميز في طرح الفكرة ومعالجة المشكلة، ونظراً لحاجة المجتمع العربي لمثل هذا الأسلوب وتعطشه لنسماته قام الأستاذ

محمد حسين بزي صاحب دار الأمير مشكوراً بطبع ترجمته العربية، عسىٰ ان ينتفع به جيلنا الصاعد، وينال المؤلف والمُعرّب والناشر به أجراً أخروياً جزيلاً من رب كريم، والحمد لله رب العالمين.

موسى قصير

ما هي الأخلاق؟

عندما تأخذ بيد أعمىٰ، وتأخذه من جانب الطريق لتصل به الىٰ الجانب الآخر؛ ألاَ يسرّك ذلك؟ وعندما ترىٰ طفلاً في زقاق قد أضاع أمه وأخذ يبكي، فتأخذ بيده حتى تسلّمه لأمه؛ ألاَ يفرح ذلك قلبك؟ لماذا هل تدري لماذا؟ فذلك الضرير أو تلك الأم لم يقدما لك العون من قبل، ولم يدفعا لك مالاً لقاء ما فعلت، ولا يعرفانك حتىٰ ينوهان باسمك، فلماذا أنت مسرور الىٰ هذا الحد بما قدمت؟

عندما تمتلك المال تفرح لأنّ في نفسك جانباً يحب المال. وعندما نجد أنّ الجميع يتحدث عنك وينوّه باسمك فإنك تفرح أيضاً لأن جانباً من نفسك يحب المديح والظهور. لكنك عندما تساعد ذلك الضرير أو تلك الأم لن يراك من يعرفك لينوه بذلك، ولا من يدفع لك المال مقابل

ذلك ولم يبعث الفرح فيك جانبي حب المال والجاه فيك، بل إنه جانب آخر فيك يريحك ويفرحك عندما تؤدي مثل هذه الأعمال، ويدفعك دوماً للقيام بمثلها، كما يدفعك عن سيرة السوء والقول السيء. إنها الأخلاق أو الوجدان.

إذاً فالأخلاق هي قوة أو ملكة تدفعك للقيام بالأعمال الحسنة، وتنهاك عن فعل الأعمال السيئة.

علم الأخلاق:

عندما يقول أحد ما إني أحب فعل الأعمال الحسنة، ولا أريد فعل السيئات، لكني لا أدري ما هي الأعمال الحسنة وما ينبغي فعله، ولا ما هي الأعمال السيئة ومالا ينبغي فعله؛ فمعنىٰ ذلك أن هذا الشخص يمتلك قوة أخلاقية أو وجداناً.

لكنه يفتقر الىٰ أمر آخر وهو علم الأخلاق، فعلم الأخلاق هو الذي يبين لك ما هي الأعمال الحسنة التي ينبغي القيام بها، وما هي الأعمال السيئة التي ينبغي تجنّبها.

إذاً يمكن القول أن علم الأخلاق هو العلم الذي يعرفنا ما هي الأمور الحسنة وما هي الأمور السيئة.

ما هو الواجب الأخلاقي

ذكرنا ان علم الأخلاق هو العلم الذي يبين لنا الأمور الحسنة من السيئة، ويقول لك ما ينبغي أن تفعله للناس من إحسان، وأن تحترم والديك ومعلميك، وأن تجدّ في إسعاد وطنك ومواطنيك وأن تضحي من أجلهما، وأن تمتنع عن كل ما هو سيء كالسرقة والبذائة وقلة الأدب وخيانة الآخرين والكسل وما شابه ذلك.

إذا فالواجب الأخلاقي هو أن تفعل كل ما يأمرك بفعله علم الأخلاق. لكن من الذي يجبرك علىٰ فعل ذلك؟ لو أن رجلاً قوياً أجبرك من خلال الجلد والضرب علىٰ أداء فعل حسن، لقمت به مع الإحساس بالعذاب والغضب. أما الأخلاق فإن وجدانك وضميرك يجبرك علىٰ فعل الخير حتى لو كان في أدائه ضرر لك، لكنك رغم هذا الإجبار وتحمل الضرر تبقىٰ مسروراً وتشعر

باللذة جرّاء القيام به. فعندما ترىٰ مريضاً فقيراً فإنّ وجدانك يجبرك علىٰ فعل الخير. وعلم الأخلاق يقول لك: أخذه الىٰ الطبيب وشراء الدواء له عمل حسن. والواجب الأخلاقي يدفعك لأخذه والصرف عليه من مالك الخاص دون أن تتوقع من أحد أجوراً علىٰ ذلك أو تعويضاً.

واجب الإنسان الأخلاقي تجاه الله:

عرف الناس الله منذ آلاف السنين، ومنذ أن عاش الإنسان في الكهوف والغابات كالحيوانات. ومع أنه كان يقضي ليله ونهاره في تسلق الأشجار ومطاردة الحيوانات الضعيفة، لكنه كان يرتقي أحياناً القمم العالية ليناجي ربه ويعبده.

وعليه يمكن القول أن الحاجات الأساسية للإنسان منذ بداية حياته كانت: الطعام، المكان، الله، الزوج. ولما كان الفكر البشري محدود وغير متطور، فإنّ طعامه ومكانه ولباسه لم يكن علىٰ حاله الفعلي، فإن إلهه الذي كان يعبده لم يكن كالإله الذي نعبده اليوم. فكان بسبب جهله يعبد النجوم والشمس والميت والنار والماء أحياناً،

وكان يعدّ لنفسه أحياناً أخرىٰ صنماً من الثمر او الخشب او الحجر او الذهب أو الفضة ويتّخذه إلهاً له.

أما الإنسان المعاصر فقد عثر علىٰ إلهه الحقيقي، وعين لنفسه واجبات عليه تجاه ربه، وكل من يمتلك تلك القوة الأخلاقية عليه أن يؤدي تلك الواجبات.

وأول واجب علينا هو أن نعتقد بأن الله هو خالق كل ما هو موجود، وأن ليست هناك قوة أخرى تحكم هذا العالم سواه، وأنه ليس له شريك ومعين، وأن جميع الأنبياء والأئمة والناس جميعاً هم عباد له. وأن يكون أحب الناس إلينا اكثرهم تقوىٰ وعلماً، لأن الله يحب عبده هذا أكثر من غيره.

والواجب الثاني أن لا نعبد أيّ أحد وأيّ شيء سوىٰ الله، وأن نستمد العون في كل الأمور منه وحده، وأن نعمل بأوامره التي أبلغنا إياها عبر النبي المرسل منه، وأن لا نتوانى عن خدمة الناس كسباً لرضاه.

واجب الإنسان تجاه نفسه:

ليتمكن الإنسان من العيش وتحصيل اللذة من عيشه

هذا تقع على عاتقه واجبات تجاه نفسه، وإن لم يؤدي تلك الواجبات يكون سيره مخالفاً للأخلاق.

والإنسان مركب من قسمين: أحدهما البدن وهو عبارة عن اليد والرجل والبطن والصدر وسائر الأعضاء المختلفة الأخرى، وعلىٰ الإنسان أن يحافظ علىٰ جميع أعضاء بدنه.

الآخر هو الروح والفكر وهما أهم من البدن بكثير، وقيمة كل إنسان بروحه وفكره. فعندما نتناول فاكهة حلوة تحسّ باللذة، وبدنك هو الذي يدرك هذه اللذة لأن حبة الفاكهة قد وردت عليه وهي غذاؤه.

وعندما تتعلم درساً بشكل جيد، وينوّه بك زملاؤك وأساتذتك ووالديك؛ فإنك تشعر باللذة أيضاً. لكن هذا التنويه يختلف عن تلك الفاكهة التي دخلت الىٰ معدتك، والتنويه قد دخل الىٰ روحك وفكرك، وقد سرّا بوروده عليهما، فانعكس ذلك سروراً عليك.

إذاً فإن واجباتنا تجاه أنفسنا تنقسم إلىٰ قسمين ايضاً: واجبات تجاه أبداننا كالنظافة والطهارة وهما أكبر واجبين

تجاه البدن، وعلىٰ كل إنسان أن يؤديهما بدقة، الىٰ حد أن نبي الإسلام ﷺ اعتبر أن النظافة من الدين فقال: «النظافة من الإيمان» وضمّت التعاليم الإسلامية الكثير من التوصيات بالنظافة والصحة مثل: سواك الأسنان، ونظافة الملابس، والوضوء كل يوم عدة مرات بغسل الوجه واليدين، والإغتسال. فمنذ أن اكتشف (پاستور)[1] الميكروب علم الجميع أن ملايين من أعداء الصحة والسلامة الإنسانية يتواجدون في الغبار والتراب والماء والطعام وفي كل مكان، ويهاجمون الإنسان فيمرض ويشرف علىٰ الموت، عندها عرف الإنسان علمياً مدىٰ أهمية النظافة، فأخذ الإنسان يدقق في طعامه، وينوع فيه لحاجة بدنه الىٰ اللحوم والخضروات والفواكه والحليب واللبن وغير ذلك، وأنه لا يجدر به أن يأكل ليلتذّ فقط، بل عليه أن يتناول ما يحتاجه بدنه، وأن يولي نظافة الطعام وسلامته أهمية قصوىٰ.

ومن الواجبات تجاه البدن (الرياضة) لأن كل عضو لا

---

(١) پاستور (لويس) pasteur (١٨٢٢ - ١٨٩٥م): عالم فرنسي، اشتهر بدراساته عن الجراثيم وإكتشافه لقاحاً ضد داء الكَلب. «الناشر».

يعمل سيضعف تدريجياً ويصيبه العطب، خاصة بالنسبة للأناس الذين يزاولون الدراسة والأعمال الفكرية، وعليهم أن يجلسوا في أماكنهم لمدة طويلة، وعليهم أن يمارسوا الرياضة بشكل يومي لتقوىٰ بذلك أبدانهم، وقد جاء في الحديث «العقل السليم في الجسم السليم» ومن كان مريضاً دوماً لا يمكنه أن يخدم أسرته ودينه ووطنه، وليس له قيمة في مجتمعه.

وهناك واجب آخر علىٰ الإنسان تجاه روحه، حيث لا يكفي أن يكون الإنسان نظيفاً ونشيطاً، بل لابد أن تتقدم أخلاقه ويتطور فكره أيضاً، ومن أجل أن تتطور أخلاقنا وأفكارنا علينا أن نغذي أرواحنا تماماً كما نغذي أبداننا، وغذاء الروح هو أدب المعرفة والتضحية وعبادة الله وسائر التعاليم الأخلاقية. لذلك علينا أن نقضي كل يوم عدة ساعات في مطالعة الكتب الجيدة، وأن نتلقىٰ العلم والمعرفة تحت إشراف معلمينا، وأن نتلقىٰ دروس الأخلاق وحب الأوطان وعبادة الله.

إذاً فالإنسان الكامل هو الإنسان النشيط والعابد لله والمؤدب والمتعلم والمحب للناس.

ما هو واجبنا تجاه والدينا؟:

روي عن رسول الله محمد ﷺ قوله: «الجنة تحت أقدام الأمهات» وكلامه هذا يدل علىٰ أهمية ومنزلة الأمهات السامية.

احترام الأب والأم احدىٰ الواجبات الأخلاقية الكبرىٰ لكل إنسان، لأن لهما حتى علىٰ كلٍ منا أكثر من غيرهما، فالأم تحمل بأحدنا لتسعة شهور تغذيه من دمها، وترضعه في حجرها لمدة عامين تقدم له الحليب وهو خلاصة وثمرة روحها، وتفقد النوم والراحة لسنوات لتسهر علىٰ نومه، كم من ليلة تقضيها عند فراشه متناسية نفسها، إذا جاع تقدم له الحليب بحنان ومحبة، وإذا مرض تُمرّضه وترعاه بحنان وعناء يعجز غيرها عن فعله. جاء أحدنا الىٰ الدنيا من أمه، وترعرع في حضنها الدافىء بالمحبة والعطف.

فوجودي من وجودها وهي صديقتي مادمت ودامت

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ أوجب الأمور احترام الأم وإعزازها لأنها أحق الناس بالإحترام والإكرام.

ماذا فعل الوالد؟

الوالد يعمل ويشقىٰ ويتحمل في الليل والنهار الصعاب والمصائب ليؤمن لنا معيشتنا، يؤمن الطعام والبيت للسكن، يأتينا بالملابس والدواء والأثاث بعرقه ودمه لنتمكن من العيش براحة ونترعرع وندرس ونضحي إنساناً ذا قيمة ومفيد، لنتمكن من الانطلاق في حياتنا بسهولة. كل ما يبذله من جهد لأجل أن نعيش براحة، وليس من أحد غيره يتحمل كل تلك العناءات من أجلنا دون أن نقدم له أي أجر أو جزاء.

إذاً فللوالدين أعظم الحق علينا، فضميرنا يأمرنا أن نحترمهما، وأن نؤمن ما يسعدهم، وأن نصغي لكلامهم، وأن نساعدهم قدر استطاعتنا، لأن من واجبنا خدمتهما خاصة عندما يدب فيهما الوهن والعجز، وواجبنا الأخلاقي أن نبذل لهما كل ما بوسعنا دون تقصير، فالله

يحب من يرضي والديه، وجاء في القرآن قوله تعالى: ﴿**أن اشكر لي ولوالديك**﴾ (لقمان/ ١٤) فجعل الله حق الوالدين علىٰ أبنائهما كحقه علىٰ عبيده، أي أن أكبر واجبات الإنسان أن يشكر الله ووالده ووالدته. وفي موضع آخر يقول تعالى: ﴿**وإن جاهداك علىٰ انْ تشرك بي ماليسَ لكَ بهِ علمٌ فلا تُطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ (لقمان/ ١٥).

حب الوطن

إذا أخذت طيراً من موقعه لتحتفظ به على بعد عدة كيلومترات ولعدة أشهر تجد أنه بمجرد أن تحين له الفرصة سيفر ويعود إلى موطنه. وإذا أخذت جدياً للذبح من بين رفاقه في الصحراء ووضعته عدة أيام في بيتك؛ تجده يصيح دوماً، ولا يأكل بشكل جيد، ولعله يهزل شيئاً فشيئاً، فهذا الجدي يحنّ الىٰ صحرائه وذلك الطير يحنّ الىٰ عشّه ويحب كل منهما أن لا يبتعدا عن موطنهما.

والانسان بدوره يحب موطنه، فعندما تعيش لسنوات مع والديك في بيت أو مدينة ما، فإنك تغتم عندما تريد مغادرة ذلك المكان واستبداله. والوطن هكذا فهو الأرض التي عاش عليها وفيها الأباء والأمهات لعدة قرون، وقضوا عليها، عمروها وقاتلوا الأعداء والمعتدين وقدموا دماءهم لصونها وسالت دماؤهم عليها لتروي ترابها، ونحن بدورنا شربنا ماءها وأكلنا من ثمار أشجارها وترعرعنا في ربواتها

إنها ما يسمّىٰ بالوطن. فكيف لا يحب الإنسان هذا المكان المقدس؟ وكيف لا يعتبره عزيزاً من صميم قلبه؟

وإيران بالنسبة لنا وكل بلد بالنسبة لغيرنا تعني الوطن، نعيش آلاف السنين في كنفه، وفي كل زاوية من زوايا الوطن لدينا تاريخ جميل ومشرّف عندما نقرأه نتذكر الأباء العظام ونتذكر ما قاموا به من مآثر والحروب التي وقعت وملاحم البطولة والإباء التي سطّرت.

نتذكر الأعمال المهمة التي قاموا بها، والخدمات التي قدموها لجميع سكان العالم، ونرفع رؤوسنا عالياً بوجود آباء لنا عظماء ولائقين، ونسعىٰ لنكون عظماء مثلهم، علماء ومفكرين وأهل شهامة، فوطني إيران مثلاً ربّىٰ رجالاً أسود من أمثال: يعقوب بن الليث الصفار[1]، والسلطان جلال الدين خوارزم شاه[2]، والسيد جمال

---

(١) الصفار (يعقوب بن الليث) أسس الدولة الصفارية، وهي السلالة التي حكمت خراسان ٢٥٤ ـ ٢٨٩هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٢م. اسس دولته على أنقاض الدولة الطاهرية هاجم بغداد فهزمه المعتمد بقيادة أخيه الموفق في دير العاقول ٢٦٢هـ/ ٨٧٦م. خلفه أخوه عمرو بن الليث ٨٧٩م ونال رضى المعتمد والمعتضد. أسره اسماعيل بن أحمد الساماني وسلمه للمعتضد الذي قتله. «الناشر».

(٢) جلال الدين (خوارزمشاه): آخر ملوك خوارزم. خلف أباه علاء الدين محمود بن تكش ١٢٢٠ ـ ١٢٣١م. هزمه جنكيزخان ١٢٢١م. أغتيل وكتب سيرته النسوي. «الناشر».

الدين الأسدآبادي (الأفغاني)[1]، والأمير الكبير، وخرّج علماء وشعراء كبار اشتهروا في العالم من أمثال: الفردوسي وحافظ والخيام وسعدي وأبو علي سينا والمولوي وغيرهم حيث نفخر بهم أينما توجهنا. فمن الطبيعي أن نحب أرضنا المقدسة هذه بقلوبنا وأرواحنا، وأن نسعىٰ لصيانتها وتقدمها، وأن لا نرضىٰ بالعيش والحياة عندما يطمع الأعداء بها ويطؤونها، بل أن نحفظ استقلال الوطن وعزته وتقدمه بأرواحنا.

وجاء عن نبي الإسلام ﷺ قوله: «حب الوطن من الإيمان».

---

(١) الأفغاني ـ الأسد آبادي (جمال الدين) ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧م: فيلسوف الاسلام في عصره، وإليه تعزى حركة التنوير التي ما زالت آثارها إلى اليوم. دعا الى الوحدة الإسلامية وجال في الشرق والغرب داعياً إلى الوحدة التي كانت شغله الشاغل، تلّمذ على يديه العديد من العلماء والمفكرين أبرزهم الشيخ محمد عبده الذي أصدر معه مجلة العروة الوثقى في باريس ١٨٨٤م. ألّف العديد من الكتب القيمة في العرفان والسياسة والفلسفة وطبعت عدة طبعات لا تخلو من فوات، كان آخرها ـ الأعمال الكاملة للآفغاني ـ التي اشرف عليها وحققها السيد هادي خسرو شاهي وصدرت عن دار الشروق في مصر العام ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١م ورغم الفوات الملحوظ فإنها أفضل الطبعات لحد الآن.

دار جدل كبير في أصله ـ أفغاني ـ أسد آبادي . . .؟ وعلى أي حال، مولده فإن السيد جمال الدين لم يزل منارة للتنوير والنهضة. «الناشر».

كيف نتعامل مع التابعين لنا؟

إن أعمال الحياة تماماً كالمصنع، البعض عمال يمارسون الأعمال الصعبة، والبعض الآخر مسؤولي أقسام وورش والمسؤولين، ويعمل العمَّال تحت إمرتهم، كما إن العمال ومسؤولي الورش سوياً يعملون تحت إشراف عدد من المهندسين، ويعمل الثلاثة تحت إشراف رئيس المصنع وعليهم أن يطيعوه. وفي الحياة هكذا أيضاً واحد مزارع وآخر ضابط شرطة والثالث مختار وغيره رئيس بلدية وآخر رياضي وغيره سيد وآخر خادم. هكذا يجب أن يكون الحال لتكتمل الحياة، فلا يستطيع أحدٌ ما أن يقوم بكل الأعمال بنفسه، كما إن الذي يتولى ويشرف علىٰ عدة أشخاص لا يحق له أن يظلمهم ويعاملهم بسوء. ففي دين الإسلام جميع البشر متساوون وإخوة، السيد والخادم والملك والسائل والشريف والرعية لا يستعلي أحدٌ علىٰ أحد، يقول الله

تعالىٰ في القرآن: ﴿**يا أيها الناسُ إنّا خلقناكمْ منْ ذكرٍ وانثىٰ وجعلناكمْ شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنّ اكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ**﴾ (الحجرات/ ١٣).

وروي عن رسول الله ﷺ قوله: «أيها الناس إنّ ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم وآدمُ من تراب، إنّ اكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ، لا فضلَ لعربي علىٰ عجمي إلاّ بالتقوىٰ»[1] وفي حديث آخر فلا يظلمن أحدكم أخاه.

ويقول الشاعر سعدي الشيرازي:

لا تحطم قلب من هو تحت إمرتك
فقد تكون يوماً ما تحت إمرته

ويروىٰ أنه كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام خادماً أو عبداً اسمه قنبر فكان أمير المؤمنين عليه السلام يساويه في الطعام والملابس والبيت، فكان يشتري قطعتي لباس لهما ويقدم لخادمه أفضلهما ويرتدي الأخرىٰ.

---

(١) نهج الفصاحة، أبو القاسم پاينده، الحديث رقم ١٠٤٤.

التقوىٰ

قال الله تعالى: ﴿إنَّ اكرمكمْ عندَ اللهِ أتقاكمْ﴾ (الحجرات/ ١٣) هذه الآية ترشدنا بوضوح الىٰ المنزلة السامية للمتقين، وأن كثرة المال والرئاسة والجاه والشهرة ليست بالتي تزيد الإنسان قيمة ورفعة، بل إنّ المنزلة والقيمة الحقيقية للإنسان عند الله وعند الناس هي التقوىٰ.

والمتقي هو الإنسان الذي يطبق جميع أوامر علم الأخلاق، وتكون ملكته او طاقته الأخلاقية أو وجدانه قوي جداً، وهو من يترفع ويتنزه عن حب المال والسلطة والظلم والجاه والوضاعة والحسد والأنانية والتملق والخوف، إنه من يعمل للناس، ومن أجل رضا الله.

أما من يكون مستعداً لفعل أي شيء من أجل كسب المال أو للحصول علىٰ منصب مهم أو لإرضاء رؤسائه ومسؤوليه؛ فليس متقياً.

المتقي يهتم دوماً بذكر الله ومصالح الناس والوطن متناسياً نفسه، لا يلهث وراء المال والراحة والدعة. إذا رأىٰ الناس في عناء لا يمتلكون قوت يومهم ويئنّون من ظالم مستبد ويتألمون؛ لا يرضىٰ بالبقاء في بيته ليأكل اللذيذ وينام الوثير مرتاح البال. فالمتقي يعتبر نفسه شريكاً مع أبناء وطنه في أفراحهم وأحزانهم.

أمير المؤمنين عليه السلام رغم علو منزلته وشأنه؛ كان يعمل من أجل الآخرين حتى اليهود منهم، يسقيها بساتين النخيل من ماء الآبار، ويحفر القنوات بيده. وزوجته وإبنة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تطحن الشعير بالمطحنة اليدوية وتعجن وتخبز.

والدكتور غاندي زعيم الشعب الهندي ترك خلفه بعد موته غرفة واحدة وزوج حذاء خشبي وإناء خشبي ونظّارة، وكان لباسه قطعة قماش وطني يلفها حول جسمه.

نحن نقرأ التاريخ لنتعرف من خلاله علىٰ المتقين ونعمل علىٰ اتباعهم والعمل بسيرتهم. لقد قرأتم وسمعتم عدة مرات قصة واقعة كربلاء وشهادة الإمام الحسين عليه السلام وظلم يزيد وعمر بن سعد وعدم تقواهم. هل تعلمون

سبب كل تلك الجرائم التي ارتكبها عمر بن سعد وسفكه للدماء في كربلاء، ولماذا تحمّل كل ذلك العار والإجرام؟ لقد فعل كل ذلك من أجل أن يصبح والياً على الري (طهران الحالية وجوارها) والآن قارنوا بأنفسكم بين ما فعله ذلك السفاح من سيرة أولئك المتقين، عندها ستدركون حقاً أن أحب الناس وأعزّهم وأكرمهم هم أكثر تقوىٰ.

قال الشاعر سعدي:

كـن تـقـيـاً فـربّ الـسّـمـا   جعل الفردوس مقراً للمتقي

حفظ السر وكتمانه

السرّ هو الكلام الذي يخفيه الإنسان في قلبه، ويمتنع عن إعلانه والبوح به، لأنه يحتمل الضرر إذا نطق به وعلم به الآخرون، لذلك قد يبوح به الىٰ من يعتبره كأخيه أو أقرب منه وأعزّ، والىٰ من يطمئن إليه كثيراً ويعلم أنه سيحفظ له سرّه ولن يفشيه للآخرين، بل قد يقدم له العون ويخدمه. والسرّ أمانة يودعها صاحبها عندك، فلا تبديه وتجريه علىٰ لسانك، لأن إفشاءه خيانة للأمانة.

إفشاء السر:

كم من سرٍ أفشي علىٰ لسان أحد في غير محلّه، فأحدث قتلاً ومجازر ومواجهات وحنق وأحقاد كثيرة.

إعلم أنّ الذي يؤمنك علىٰ سرّه فإنه اعتبرك أعز أصدقائه وأقرب الناس إليه، فوثق بك، واعتبر نفسه

صديقاً لك واعتبرك صديقاً له وموضع سرّه وصاحب أخلاق وقيّم وشرف، إذاً كان يعيرك قيمة كبرىٰ. فما أبعد الإنسان عن الشرف والأمانة والأخلاق الإنسانية عندما يخون هكذا شخص، وما أشدها من إساءة تجاه من اطمأن إليه أن يبوح الإنسان بالسرّ الذي أودعه إياه في صدره عندما يقدمه طعمة رخيصة للصديق والعدو.

الشرف

الشرف يعني السمو والرِفعة، لكن الكثيرين في المجتمع ينعمون بالإحترام ويعدّونهم شرفاء وأشراف وكبار وعظماء من أجل أموالهم وثرواتهم أو من أجل أحسابهم وأنسابهم، أو بسبب تولّيهم لمناصب كبيرة. لكن الضمير والوجدان لا ينسب الشرف إلاّ للمتقي والمحسن والمحب للناس ولمن يريد الخير للآخرين وللحليم والمؤمن بالله مهما صغرت وتدنت ثروته، ومهما كان حسبه ونسبه.

فالأسد يزأر في الصحاري ويزمجر حتى يحصل علىٰ صيده، لكنه ما أن يشبع ويسدّ جوعه حتى يترك الباقي لغيره ويذهب في سبيله. أما الضبع فإنه يبحث دوماً عن جيفة وبقايا فريسة الأسد ويشبع نفسه من تلك البقايا.

والرجل الشريف يعيش في المجتمع كالأسد، يعمل

ولا يتحمل منّة أحد، ويكسب قوته بيده وفكره، ويساعد الضعفاء والمساكين من حوله. أما عديم الشرف فإنه كالضبع يرائي ويتملّق ويكذب ويدلّس ويلبس الذل والعار أمام هذا وذاك ماداً يده إليهم، ليعيش من خلال ذلك حياته والوضيعة.

قال الحكيم الشاعر الفردوسي:

الموت أفضل عندي من أن أعيش

سيداً استعبد الآخرين

وأن يدفن رأسي في الثرىٰ خير   من أن يلطخ اسمي بالعار

فالشرف قرين الحرية، والشعب غير الحرّ والخاضع لغيره لن يكون شريفاً. والذي لا يعمل ويأكل مثله كمثل دودة الأمعاء التي تأكل من غير كدّها طعاماً أمّنه غيرها بتعبه وعرقه ودمه.

والشرفاء هم الذين يجدّون ويجتهدون ليعمّوا الآخرين بخيرهم. أحد المفكرين يقول:

إذا كنت مضطراً للكذب والخداع لتكسب المال؛ فابقَ فقيراً معدماً. وإذا كان الحصول علىٰ الجاه والمقام

يتطلب منك المراهنة والتملق؛ فغض الطرف عن طلبهما. وإذا كانت الشهرة تجبرك علىٰ الخيانة كما فعل الآخرون؛ فعش مغموراً. ودع الآخرين أمامك ينالون الثروة بالكذب والخداع. ويقتنصون المناصب بالتملق والرياء. وينالون الشهرة بالخيانة والخطايا. وابقَ أنت مغموراً معدماً قانعاً، لأنك بذلك تكون قد حصلت علىٰ ثروة فقدها كل أولئك، إنها الشرف والكرامة.

وكتبت امرأة لزوجها:

(عزيزي لا تنس شرفك الذي جعلك أعظم وأسمىٰ من الملوك والأمراء، وأعلم أن الأمر السامي والمهم الذي يهبك السعادة دوماً، ويمنحك بعد الموت الفلاح والرفعة والإفتخار هو الشرف وحده، وليس المال ولا الجاه والشهرة)[١].

---

(١) السيدة كونا مخاطبة زوجها في ساحة الحرب.

العدالة

العدالة تعني إعطاء كل إنسان حقه بمقدار استحقاقه، وتعيين كل إنسان في الموقع الذي يناسبه. ففي الصف فإنّ الطالب الأفضل من غيره من الناحية الأخلاقية والدراسية فإنّ حقه أكبر وينبغي إعطاءه ذلك الحق. وعندما يُسلّم رجل وضيع منصباً كبيراً، أو عندما يسند عمل صغير لرجل كبير؛ لا يكون في ذلك عدالة.

سئل (بوزرجمهر) ما سبب ضياع سلالة الساسانيين الكبرىٰ؟ فقال: كانوا يسندون المهام الكبرىٰ لأشخاص وضيعين، والمهام والأعمال الوضيعة للأشخاص الكبار، فلا يعتني الكبار بالأعمال الوضيعة، ولا يليق الوضعاء بالمهام الكبيرة. مما قضىٰ علىٰ مملكتهم وأنهىٰ سلالتهم.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كونا للظالم

خصماً وللمظلوم عوناً»[١] فالعدل أحد أسس مذهبنا، والعادل المطلق هو الله، ولن يتغاضىٰ عن الظالمين أبداً.

وروي عن النبي محمد ﷺ قوله: «الملك يبقىٰ مع الكفر ولا يبقىٰ مع الظلم» ويشير أيضاً أن الله يسلط الظالم تارة علىٰ الذي كان عوناً له في ظلمه للآخرين، وقد بيّن لنا التاريخ أن الظالم الذي يلطخ يديه بدماء الناس ويظلمهم كيف يبتلىٰ وتكون نهايته أسوأ.

آه الـــمـــظـــلـــوم صـــوت الـــلـــه
وأصوات المدافع لا صوت لها عند الله
فـــســـطـــوة مـــائـــة ضـــارب بـــالـــســـيـــف
أدنـــىٰ مـــن آه امـــرأة عـــجـــوز[٢]

الدين الإسلامي يهتم بالعدل والقسط الىٰ درجة أنه يمنع أتباعه من ظلم الحيوانات، فها هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته»[٣].

---

(١) من وصيته عليه السلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام.

(٢) ترجمة لشعر ملك الشعراء بهار.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

لاتـؤذ نـمـلـة وهـي تـحـمـل حـبـة
فلها نفس، والنفس تميل الى الُحسنِ[(١)]

وإذا سادت العدالة في بلد ما، ولـم يمارس الظلم بحق أحد، فسيعيش أبناء ذلك البلد بسعادة ورفاهية، وسيتقدم البلد ويتطور بسرعة.

افـعـل مـا شـئـت لـكـن لا تـسـعَ لـلأذىٰ
فـليس فـي شـريـعـتـنـا ذنـب سـواه[(٢)]

فحافظ لا يرىٰ ذنباً في العالم سوىٰ الظلم وفقدان العدالة.

(١) ترجمة لشعر حافظ الشيرازي.

(٢) ترجمة لشعر حافظ الشيرازي.

النجابة

من هو النجيب برأيكم؟ النجيب هو الذي لا يصل أذاه للآخرين، فهو هادىء، متّزن، يحب الخير ويرجوه للآخرين، يحب الناس، يفرح لفرح الآخرين، وعندما يتحدث لا ينال من أحد صراحة ولا كناية، ولا يذكر الآخرين في غيابهم بسوء.

وبعض الناس ترونهم غير متزنين، يرجون الشر، نطقهم البذاءة، مؤذين وسيئين، أولئك هم الذين لم ينالوا حظاً من النجابة.

علامات النجابة: الحياء والخجل، احترام الآخرين، اللين والإتزان، الإحسان للناس وحبهم والتحبب إليهم وراحتهم منه، والإبتعاد عن الأذية،

والإضرار بالآخرين، والعفو عن ذنوب الناس وتقصيرهم. وهي علامات نجدها عند كل إنسان نجيب.

بعض الناس كالبغل الثائر، يرفس هذا ويعضّ ذاك، لا يجرؤ أحد من الإقتراب منهم، سيئون ذاتاً وأشرار؛ هكذا هم غير النجباء، يحبون إيذاء الناس وتعذيبهم، ويتلذذون بذلك، لا حياء عندهم ولا خجل.

البعض يظن أن الخجل والإستحياء الناتج عن نقص وضعف هو كالخجل والحياء عن كرم وأخلاق، فيظنون أن النجيب هو الذي إذا تكلم احمرّت وجنتاه وتلعثم لسانه وارتجفت ساقاه. أما الذي يقف مرفوع الرأس ويتحدث بشكل واضح وصحيح، ويطرح ما يريد بأدب وكمال ودون خجل؛ يعتبرونه غير نجيب ودون حياء.

البعض يظن أن الخجل عن نقص حياءاً، لذلك فإنهم يتحاملون علىٰ الحياء ويعتبرونه عيباً ونقصاً كبيراً. في حين أن الحياء من الصفات الحسنة الكبيرة لكل ذي أخلاق وتربية وأدب.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام الى أن حياء رسول الله صلى الله عليه وآله كان كحياء الفتاة. في حين لا يمكن أن يدعي أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان رجلاً خجولاً ضعيف الشخصية، فيكون ذلك نقص فيه. بل كان حياؤه عن كرم أخلاق ونجابة.

الرجل النجيب له مكان دوماً في قلوب الناس، ومن يعيش في قلوب الناس؛ فلن يموت.

السخاء

النبي موسىٰ عليه السلام ناضل لسنوات طويلة مع الناس وتحمل العناء بينهم ليتمكن من نقلهم من عبادة الأوثان الىٰ عبادة الله الواحد، وعندما توجه لمناجاة الله وترك قومه ومعهم أخوه هارون عليه السلام، وما أن ابتعد موسىٰ عن قومه حتى توجهوا نحو صائغ يصنع التماثيل اسمه السامري، ليصنع لهم تمثالاً صنماً ليعبدوه كما كانوا يفعلون من قبل، فصنع لهم صنماً من الذهب ودعاهم لعبادته، وعادوا لعبادة الأصنام، وأُخرج هارون من قومه، وحاولوا قتله، والقضاء علىٰ جهود النبي موسىٰ عليه السلام طوال أربعين عاماً.

وعندما عاد النبي موسىٰ عليه السلام وجد ما فعله السامري بقومه، وقد أضل الجميع عن الحق، فقرر أن يقتله، لكن الله تعالىٰ أوحىٰ إليه أن لا يقتله لأنه رجل سخي.

فالميسورين الذين يسعون للحصول علىٰ أموال أكثر

من حاجتهم المعيشية، تأمرهم الأخلاق أن ينفقوا من أموالهم الزائدة لسدّ حاجة المحتاجين.

قال تعالىٰ في القرآن: **﴿والذين يكنزونَ الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها في سبيلِ اللهِ فبشّرهم بعذابٍ أليم﴾**[١].

فمن يمتلك وجداناً أخلاقياً لا يمكنه أن يُراكم ثروته، ويرىٰ الناس من حوله لا يجدون خبزاً لسد رمقهم.

حاتم الطائي كان رجلاً عربياً كملايين العرب الأثرياء الذين عاشوا في بلاد الحجاز وماتوا، دون أن يحتفظ التاريخ بأسمائهم وسيرهم، أما إسم حاتم الطائي فقد بقي خالداً تتناقله اللألسن في العالم، وتتحدث عنه جميع كتب الأخلاق وتمجّده، وتستعرض مواقفه وأعماله، وسيبقىٰ اسمه مشهوراً مادامت الحياة باقية.

فما أحقر البخلاء الذين يضيقون خناق الحياة علىٰ أنفسهم وعلىٰ الآخرين، ويتعبون أزواجهم وأبناءهم

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٤.

ليتمكنوا بذلك من توفير أموالهم، ثم تزهق أرواحهم ويموتون دون أن يستفيدوا من تلك الأموال التي قضوا أعمارهم بالضعة والعسر والحقارة والعناء لجمعها. يتركونها خلفهم، ويتركون وراءهم سمعة سيئة وعاراً يذكره الجميع باشمئزاز، ويواجهون في الآخرة غضب الله عليهم.

يذكر الحكيم سعدي الشيرازي في كتابه كلستان: سألوا الحكيم من هو سعيد الحظ، ومن هو سيء الحظ؟ فأجاب: سعيد الحظ هو من يأكل ويزرع، وسيء الحظ من مات وانقطع.

كـــل والـــبـــس واعـــط وارتـــح

لم تـــوفـــر وتمـــنـــع ولمن تـــبـــقِ

الأمانة

الأمانة تعني العمل الصحيح والحفظ، فمن يودع مال الآخرين عنده فيحفظه ويعيده لأصحابه في وقته يسمّىٰ أميناً، لأنه حفظ الأمانة وأدّاها، فيأتمنه الجميع ويثقون به، ويكفي الإنسان قدراً وعلواً ورفعة أن يأتمنه الناس علىٰ اسرارهم وأموالهم.

النبي محمد ﷺ كان قبل البعثة صادقاً وأميناً وحسن السيرة وكان الجميع يثق به ويسمّونه الصادق الأمين.

أي مجتمع تحفظ فيه الأمانات، ويطمئن الجميع لبعضهم البعض ويثقون، تكون الحياة مريحة وهادئة ووادعة وسعيدة، بشكل يصعب علينا الآن تصوره.

مع الأسف قد ندرت اليوم الأخلاق الحميدة، وقلة هم الذين يأتمرون بما يمليه عليهم الوجدان، ولهذا السبب

أصبحت الحياة صعبة ومرّة ومعقدة. لعلك قرأت الحكاية التي ذكرت في القابوسنامة.

فعندما نرىٰ أمانة ذلك الشاب العجيبة نحسّ بلذة. لعل من المناسب أن نستعرض حكاية رجولة ذلك اللص ثانية:

الحكاية:

(خرج رجل من بيته في عتمة منتصف الليل قاصداً الحمام العام، فالتقىٰ في الطريق بأحد أصدقائه، فسأله أن يرافقه الىٰ الحمام. فقال له الصديق: نعم إن لي حاجة سأرافقك حتىٰ الحمّام. فسارا سوياً، وعندما بلغا مفترق الطريق تركه صديقه دون أن يودّعه وأخذ طريقاً آخر، فسار خلفه لص، وعندما وصلا الحمام وكان الجو معتماً، فظن الرجل أن رفيقه هذا هو ذلك الصديق الذي كان برفقته، فأخرج كيساً فيه مائة ليرة ذهبية وأعطاه إياها قائلاً: خذ يا أخي هذه الأمانة حتى أخرج من الحمام. تعجب اللص وبقي اللص واقفاً هناك حتى خرج الرجل من الحمام وقد طلع وجه الصباح، فقال للرجل: خذ أيها الرجل ذهبك، فقد فقدت عملي الليلة بسبب أمانتك.

فقال الرجل: أي أمانة؟ ومن أنت؟

قال اللص: هذه أمانتك التي أودعتني إياها، وأنا لص.

فسأله الرجل: إن كنت لصاً فلماذا لم تذهب بكيس الذهب؟

قال اللص: أنت أودعت هذا الذهب عندي، فلم أر من المروءة أن تعتبرني أميناً ثم أخونك).

نعم إنّ الذي يودعك أمانته يكون قد اطمأن لك، وعليك أن تكون أهلاً لذلك.

الغضب

عندما تغلّب أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ (عمرو بن عبد ودّ) أقوىٰ واشجع أبطال العدو، وجلس علىٰ صدره رافعاً سيفه، بصق عمرو بوجه علي عليه السلام فغضب علي عليه السلام لكنه أحجم عن قتل عمرو وهو في تلك الحال، فنهض عن صدره وجال في الميدان حتى ذهب عنه غضبه، فعاد وجلس علىٰ صدره ليحتز رأسه، فسأله عمرو: لماذا لم تقتلني عندما أغضبتك؟ فبين له علي عليه السلام أنه لم يرد قتله غضباً لنفسه، بل غضباً لله سبحانه، فلما ذهب عنه غضبه لنفسه، بادر إلىٰ قتله.

يقول سقراط: من غضب فلن ينطق لسانه صواباً. فالغضب هو نوع من الجنون يستولي علىٰ الإنسان لساعة، فإذا نظرت للغاضب تجد أنّ عينيه قد احمرّتا كالدم، وجسده يرتجف، ويجتمع الدم في وجهه، وينطق لسانه بالكلام المعيب، وتصدر عنه حركات جنونية خطرة،

وكأنه مجنون.

والغضب مرض ينّغص حياة الإنسان، وعلىٰ الإنسان أن يشفي نفسه من هذا المرض من خلال التمرين. فالرجل الذي يريد أن يتطور عليه أن يكون صبوراً حليماً. أما إذا كان يغضب من كل واردة ترد عليه فلن يستقيم أمره، ولن يتطور عمله، لأن كل عمل يتطلب المثابرة، والغضب يذهب بالمثابرة.

بعض الطلاب إذا تعرض للعقاب أو لم تكن نتيجته في الامتحان جيدة تجده يغضب لدرجة تجعله يترك الدرس والمدرسة، فيبقىٰ طوال حياته محروماً من العلم والمعرفة ومفاعيلهما.

وبعض الأشخاص أيضاً يزاولون أعمالهم، حتى إذا غضبوا وثارت أعصابهم تركوا أعمالهم. في حين أنّ الحياة تتطلب المثابرة والإستمرار علىٰ الجد، وترك الغضب والحنق، ومواجهة الصعاب ببرودة أعصاب وحكمة.

عندما تريد أن تحلّ مسألة حسابية تفكر نصف ساعة ثم تحلها بطريقة أو أخرىٰ، فتحصل علىٰ الجواب. أما إذا ثارت أعصابك وغضبت وتركتها فلن تجد الحل أبداً.

العالم إذا أراد أن يخترع آلة ما تراه يعمل لعدة سنوات ليل نهار لا يبرح المختبر، ويجري فيه آلاف الإختيارات والتجارب والمحاولات وبعد كل هذا لم يتمكن من بلوغ هدفه، لكنه لم يغضب، بل قال ببرودة أعصاب: لقد اكتشفت أمراً مهماً جداً وهو أني علمت أن هناك آلاف الطرق التي لا تؤدي الىٰ اختراع هذا الجهاز.

واجب الوالدين تجاه الأبناء

علىٰ الوالدين أن يعلما أنّ ثمرة حياتهما هي إنجاب الأولاد، ومهما يعيشان سوياً في راحة وسعادة دون أن يقدما للمجتمع أبناء صالحين فسيكونان كالشجرة التي لا تثمر، لا تنفع إلاّ للحطب.

ولا يقتصر واجب الوالدين علىٰ الإنجاب فقط، بل عليهم تربية أبنائهم ليكونوا مفيدين للناس وللبلد، رجال فكر وطهارة وإيمان، لأنهم هم الذين سيديرون البلد في المستقبل، لذلك يجب أن يتربوا منذ طفولتهم ليكونوا أهلاً لذلك في المستقبل. فالإبن هو ثمرة الحياة، لكن الإبن الذي لم يتربّ والجاهل والأمي وغير المستقيم والكاذب هو ثمرة مرّة، من يأكلها يمرض، وسيتفشىٰ هذا المرض في مستقبل البلد، ويمكننا القول أن مثل هذا الإبن ليته لم يكن.

الطفل كالبرعم الصغير، يقوم البستاني بتربيته كما يشاء، لكنه عندما يكبر ويصلب عوده تصعب تربيته كثيراً.

في الدين المسيحي هناك فئة من المربين يقولون سلمنا طفلك لنربيه حتى السابعة، ثم خذه حيث تشاء، وربّه كما تريد، فسيبقىٰ حتى آخر عمره كما ربيناه.

هذا الأمر يوضح مدىٰ تأثير التربية في الطفل، وللأطفال الذين يشاركون طفلنا اللعب تأثير على أخلاقه أيضاً، فعلىٰ الوالدين المشفقين علىٰ إبنهما أن يختارا له رفاقه، وأن يطلعا جيداً علىٰ أخلاقهم وسيرهم، وأن لا يتركا ابنهما يختلط مع أطفال لم يتلقوا التربية الصحيحة.

المهمة الثانية للوالدين هي تعليم أولادهما وتشجيعهم علىٰ طلب العلم وعدم منعهم من ذلك، فالإنسان الكامل هو صاحب الأخلاق والسيرة الحسنة، والمطلع علىٰ العلوم والمعارف، فلن يكون الإنسان مفيداً لمجتمعه وينفع الناس إلا إذا كان متعلماً وخلوقاً.

ومهمة الأم في تربية الأبناء أكبر من مهمة الأب، لأن طفولة أي طفل تكون مع أمه، وخلال الطفولة يتأثر

الطفل بسيرة أمه وأخلاقها وتنطبع أخلاقها وسيرتها في قلبه وروحه. لذلك قال أحد العظماء: إن نصف تقدمي وانتصاراتي في الحياة تعود لأمي.

الصحة وتعويد الطفل على النظام والترتيب وتنشيط جسم الطفل من واجبات الوالدين أيضاً، وعليهما أن يوليا ذلك جل اهتمامهما.

ولا تقتصر مهمة الوالدين علىٰ العناية بالأولاد منذ الطفولة حتى بلوغ سن الرشد والشباب، بل عليهما أن يشملانه بعنايتهما طوال حياته وخلال زواجه وعمله علىٰ أن يعاملاه كإبن راشد، وأن لا يتوانيا عن أية مصاريف وعناء لأجله، وأن لا يتخليان عنه بحجة أنه أصبح رجلاً أو إمرأة، وقد بلغ سن الرشد وله بيته وعمله، بل أن يرشدانه ويقدمان له المشورة ما بقيا على قيد الحياة، وأن لا يغفلان عنه.

الإخوة.. الأخت وأخوها

الأخت والأخ زهرتين نبتتا على غصن واحد، وتفتحتا في أسرة واحدة. ففي العالم كله لا يوجد أقرب من الأخ لأخته والأخت لأخيها. قد تقول إن الوالدين أقرب إلىٰ الإنسان من الأخ والأخت، لكن الأمر ليس كذلك، فكما قلت إن الأخت والأخ زهرتين قد نبتا من طين، والطين أوجدهما، لكن إذا نظرت الىٰ الزهرتين وجدتهما متشابهتين وأقرب إلىٰ بعضهما البعض من الطين. والأخ والأخت كتلك الزهرتين اللتين نبتتا من ذلك الطين.

عندما تصادق أحداً لعدة أشهر، فإنك وإن كنت لا تلتقيه إلاّ مرة واحدة كل أسبوع، لكن صداقتكما تتعمق وتزداد، بحيث أنك إذا لم تره في أحد الأسابيع يضيق صدرك له.

فكيف بالأخوين اللذين يعيشان منذ طفولتهما في بيت واحد، ويأكلان من مائدة واحدة، يرعاهما نفس الوالدان، كم سيكونان أقرب إلىٰ بعضهما، وكم ستكون المحبة بينهما، دماءهما ولحمهما وجلدهما من منبت واحد، وقد جاء من نفس الوالدين.

لهذا فإنّ أشد المحبة وأطهرها هي المحبة المتبادلة بين الأخوين، فكلما دللت أخت أخيها، أو أحب أخ أخته؛ فإنهما يجنيان أكبر لذة في حياتهما. يشعر بهذه اللذة من يقدّر الأخوة، ومن يحب الآخر من صميم قلبه، يحترم الأخ أو الأخت الأكبر ويطيعه، ويعطف علىٰ الأصغر ويسعده ويتعامل معه بأبوة أو أمومة(١).

---

(١) ومصداق ذلك زينب بنت علي عليهما السلام بطلة كربلاء زينب هي التي رافقت الحسين عليه السلام منذ طفولته ولم تتركه حتى استشهاده، فكانت بحق صوت الثورة الحسينية الخالدة على مدى الدهور. زينب كانت وما زالت وستبقى المثال.

واجب الإنسان تجاه معلمه

إن أحسن الدهر يوماً
أجلسك بحفرة المعلم[١]

ليس في العالم من هو أسمىٰ وأشرف من المعلم، ذلك لأنه ليس هناك ما هو أسمى وأشرف من المعرفة والتربية، وعلينا أن نتلقىٰ هذين من الأستاذ، والله هو أكبر وأعظم أستاذ، وهو يفخر أنه علم البشر ما كان يجهله الإنسان[٢]. والأنبياء هم معلمو البشر، ذلك لأن مهمة الأنبياء هي تعليم الناس الأخلاق والمعرفة، وكل من يعلمنا شيئاً ما يكون له في رقابنا حق، بل وأكبر حق. فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «من علّمني حرفاً فقد

---

(١) ترجمة لبيت شعر من ملحمة الفردوسي.

(٢) ﴿**إقرأ وربّكَ الأكرمُ. الذي علّمَ بالقلمِ. علّمَ الإنسانَ مالم يعلمْ**﴾ (سورة العلق: الآية ٣ ـ ٥).

صيّرني عبداً». ولم يقل ذلك أحد بحق أحدٍ سوىٰ المعلم.

الوالدان لهما حق كبير في أعناقنا، وحقهما أنهما أوجدانا وغذيانا حتى كبرنا، ولولاهما لما وجدنا، فوجودنا من وجودهما، لكننا إذا لم نتحلّ بالمعرفة والأخلاق فلا قيمة لوجودنا هذا. يقول الشاعر:

لم تفخر هكذا بشكلك هذا

فهو لباس يرتديه كل حمار

فالحيوانات موجودة أيضاً، وتكبر وتنمو. وكذلك نحن قد أوجدنا أباؤنا وربيانا، لكن المعلم هو الذي جعلنا إنساناً، ولولا العلم والأخلاق اللذين تلقيناهما منه، لما كان هناك أيّ فارق بيننا وبين الحيوانات. فكم إنسان تراه لا يملك علماً ولا أخلاقاً تجده لا يعقل أكثر من حيوان، بل لعله أكثر وحشية من الحيوانات وأشدّ فتكاً وإيذاءاً منها وسفكاً للدماء[1].

فقيمة الإنسان بعلمه ومعرفته وفكره، وكما قال

(١) ﴿اولئكَ كالأنعامِ بلْ همْ أضلُّ أولئكَ همُ الغافلونَ﴾ (الأعراف: الآية ١٧٩).

المولوي:

يا أخي أنت ما تعلم وما تحسن

وإلاّ فالباقي عظام وشعر وأعصاب[1]

هذه المعرفة يتلقاها الإنسان من معلّمه، فالمعلم هو الذي يمنحنا العلم والمعرفة والأخلاق التي تشكل سمات إنسانية تميزنا عن سائر الحيوانات. من هنا نعلم سبب شرف المعلم وعظمته، وعلينا أن نحبه بقلوبنا وأرواحنا، وأن نطيعه، وإذا عاقبنا لا ينبغي لنا أن نحقد عليه، لعلمنا أنه يفعل ذلك من أجل رقيّنا وتقدمنا. أن نستمع بدقة لما يقوله، أن تستقر تعاليمه في عقولنا، أن لا ننسىٰ معارفه، لنتمكن في المستقبل من الإستفادة منها. لننهل من تلك المعرفة ما استطعنا، ونكافئه بالأدب والإحترام، كيف لا وهو الإنسان الشريف الذي وقف حياته لتربيتنا، واحترق كالشمعة ليضيء دربنا وينير أذهاننا، فلنسعده بالقول والفعل والسيرة.

---

(١) المثنوي ج١ ص٢٦٢. وقال ابن الوردي: قيمة الإنسان ما يحسنه، أكثر الإنسان منه أم أقل.

زمالة الصف والدراسة

المدرسة كالبيت، لكن في هذا البيت تتلقىٰ روحك وفكرك الطعام ويقويان، وطعامهما هو الأخلاق والمعرفة، والذين حولك ومعك في هذا البيت ممن يتلقىٰ العلم والأخلاق والتربية والتعليم هم كإخوتك وأخواتك، وعليك تجاههما نفس ما عليك تجاه إخوتك.

عليك أن تتصرف في المدرسة بحيث يحبك الجميع، وأن يتخذوا من دراستك وأخلاقك وسيرتك أسوة لهم. إسع أن لا تؤذي أياً منهم طوال مراحل دراستك، وبحيث يمكنك القول أن أخلاقي في رقي. لا تسخر أبداً من الطالب الأضعف منك درساً، فذلك يزرع العداء لك في نفوس الآخرين، ويعتبرونك منحطاً دون تربية، وأناني ومتكبر. وإذا استطعت أن تكسب محبة الجميع، في صفك، فستكون موفقاً هكذا في حياتك

أيضاً، وستكون شخصاً محظوظاً، فالمحظوظ هو الذي يمتلك أكبر عدد من الأصدقاء.

لا تتحدث عن زميلك بالسوء في غيبته، فذلك دليل علىٰ قلة الأدب والوضاعة، ويفرق الزملاء عنك. صادق الجميع وأحبّهم، ضاحك الجميع، عامل الجميع بالسواسية، لكن إذا رأيت من طالب تصرفاً سيئاً أو أخلاقاً سيئة فابتعد عنه، دون أن تناله بلسانك أو تشهّر به، وإن استطعت فانصحه، وبيّن له عيوبه بمحبة ودون أن يطّلع علىٰ ذلك أحد غيره، لعله يصغي لكلامك، ويحسّن من سيرته. وإلاّ فمن الأفضل أن تبتعد عنه ولا تصاحبه.

إذ كان بعض زملائك أضعف منك درساً فاسع لمساعدتهم، وزرهم يومياً ليستفيدوا منك في درسهم، فإن أنت فعلت ذلك قمت بعمل عظيم أخلاقياً.

ثانياً: لا تنس أن تكون سيرتك في المدرسة بحيث يحبك كل زملاؤك، لأن عندما تكبر ستجدهم أصدقاء جيدين لك، فالمحظوظ من كان أصدقاؤه كثيرون.

تعلّم المعرفة والفنون

العلم هو أطهر وأقدس الأشياء في العالم، فعندما تقارن الإنسان بالحيوان لا تجد بينهما فرق في الظاهر، فكثير من الحيوانات أقوىٰ من الإنسان جسدياً، ويبدو الإنسان أمامها صغير وضعيف الىٰ درجة، فلماذا يا تُرىٰ يعدّ الإنسان أعظم مخلوقات العالم؟

لأنه يفهم ويكفر ويدرك. إذاً فالتفكير والفهم والإدراك هو الذي رفع شأن الإنسان الىٰ هذا الحد.

هناك طيور تطوي في ساعة واحدة عدة فراسخ، بينما الإنسان مهما تمرّن رياضياً فلن يرتفع عن الأرض أكثر من متر واحد. والأسماك تعرف المحيط كله فتجوب مياهه، وتغوص في أعماقه، بينما الإنسان إذا غطس في حوض صغير وبقي في الماء عدة دقائق فسيختنق ويغرق. والجمل يحمل أكثر من مائة كيلوغرام بسهولة، وينقلها من

مكان لآخر، بينما الإنسان قد يعجز عن رفعها وينوء بحملها ويعجز عن نقلها.

لكن في الإنسان طاقة وقدرة تجعله أكثر قدرة من أقوىٰ الطيور وطيراناً واكثر الأسماك غوصاً وآقوىٰ الحيوانات تحملاً. فأي طائر يمكنه أن ينقل الأطنان ويدور فيها العالم كما يفعل الإنسان بطائرته. وأي سمكة يمكنها البقاء في عمق البحار لعدة أشهر تجوب المحيطات بسرعة فائقة ويعيش في بطنها المئات كالمدينة الصغيرة كما يفعل الإنسان بغواصته، وأي حيوان يمكنه أن يحمل الأطنان ويجول بها عباب الأرض وغياهب البحار كما يفعل الإنسان بقطاره وسفينته.

من أين أتىٰ هذا الإنسان الضعيف بكل هذه القوة؟ بحيث سخّر لنفسه السماء والأرض والبحار؟ وكيف استطاع الإنسان رغم ضعف بصره وقصر مداه أن يطّلع علىٰ القمر والنجوم وتضاريسهما؟ وكيف تمكن الإنسان أن يسمع بإذنه القاصرة عن سماع الأصوات البعيدة عنها لعدة أمتار، أن يسمع بها كلام من يتحدث في الطرف الآخر من العالم؟

وبأي وسيلة يريد الإنسان أن يرتقي الكواكب الأخرىٰ، وهو يعجز عن تسلق جدار لا يزيد ارتفاعه عن ثلاثة أمتار؟

إنه العلم والفنون والمعرفة التي تمكّن الإنسان الضعيف أن يكون مقتدراً لدرجة تمكّن شخصاً واحداً من تدمير بلد في دقائق بتفجير قنبلة.

المعرفة هي التي منحت الإنسان كل هذه القدرة، وجعلته أفضل من الحيوانات.

إذاً يجب أن ننهل من المعرفة والعلوم لنكون أقوياء مقتدرين، وأقرب الىٰ الإنسانية وأبعد عن الحيوانية.

وقد نظم الفردوسي هذا شعراً:

كل عالم يضحي مقتدرا

بالمعرفة يضحي قلب العجوز شاباً[1]

والمعرفة كنز كلما غرفت منه ازدادات جواهره، ورأسمال كل إنسان معرفته التي نالها طوال عمره.

---

(١) ترجمة لبيت شعر من الشاهنامه ج١ ص١٣.

هكذا قال النبي الصادق
أطلب العلم من المهد الىٰ اللحد

والعالم لا يموت، فكم من عالم ووري جسده الثرىٰ، لكنه موجود وذكره يملأ الأفاق. وكم من أناس يمشون ويأكلون وينامون ويعملون لكنهم أموات. فهل مات الفردوسي وسعدي وابن سينا وباستور، وهل يمكن أن يموتوا؟ او ليسو يتحدثون الىٰ الجميع ويسمع الجميع كلامهم ويعملون به؟ بينما آلاف الأحياء الذين لا يعرفهم أحد، ولم تخّلد اسماؤهم، لذلك قيل:

ليس في العالم أعظم من العلم
والجسد الميت وروح الجاهل واحد
فهو ميت من كان جاهلاً
ففقد العلم موت للروح(١)

(١) ترجمة لبيتين شعر فارسي.

أداب العِشرة

لعِشرة الناس والتعامل معهم آداب ورسوم علىٰ كل إنسان أن يتعلمها في حياته ويعمل بها، وينبغي أن يكون التعامل مع الناس ومعاشرتهم بحيث ينخفض عدد الأعداء يوماً بعد آخر ويزداد عدد الأصدقاء. فمن يتقن التعامل مع الناس، ويعرف كيف يتصرف مع الصديق والعدو والجار والغريب والعجوز والشاب والمرأة والرجل؛ فسيكون سعيد الحظ موفقاً، وتكون حياته سعيدة وحلوة.

أول شيء علىٰ الإنسان أن يهتم به في حياته هو أن يربي الأصدقاء من حوله، فالصديق من أكبر النعم في الدنيا. وإذا أردت أن يحبك الناس عليك أن تحبهم أولاً، وتتعامل معهم بمحبة. ولا تتوقع أبداً أن يحبك أحد ما دون أن تبادره بالمحبة.

انتبه عند تعاملك مع الناس أن لا تصمّ آذانهم بشرح

همومك ومشاكلك، وإذا التقيت صديقاً فصافحه بحرارة، ولا تبعد البسمة عن شفتيك، لا تسكت بحضوره وتغوص في أفكارك، بل بادره بالسؤال عن عمله وحياته. إذا كنت قريباً منه ومن أعز أصدقائك فلا تسمّه بلقبه بل باسمه الصغير الأول، أما إذا كان أكبر منك سناً وقدراً فناده بلقبه.

فإذا كان إسم صديقك مهدي الحكيم مثلاً فناده يا مهدي ولا تناده بالسيد الحكيم. أما إذا كان مديرك اسمه باقر الراضي مثلاً فلا ينبغي لك ان تناديه بباقر، بل السيد الراضي.

لا تستصغر أبداً من هم أقل منك ثروة أو علماً أو منصباً، فذلك الأمر يشعره بالضعة ويملأه حقداً عليك، وهي علامة ضعتك وحقارتك. لذلك كن متواضعاً حسن الأخلاق، فالتواضع علامة الرفعة والسمو، والتكبر علامة الضعة.

عندما يتحدث أحد ما أكبر منك أو أصغر فلا تقاطعه، بل إصغِ إليه بدقة، وإذا كان كلامه غيرصحيح فلا تردّ عليه بشكلٍ يؤذيه، بل راعي جانب الأدب في ذلك.

وإذا أردت أن تفهمه سقم كلامه يمكنك أن تفعل ذلك بطريقتين: إما أن تقول له: ما هذا الهراء الذي تقوله، إنه كلام فارغ لا أساس له. أو أن تقول: عذراً لكني أظن أن الأمر هكذا وليس كما أسلفت. لاحظ بنفسك أي الجوابين أقرب للأخلاق والأدب؟

عندما يسرد لك أحد قصة، وكنت مطلعاً عليها من قبل، فلا تفعل كبعض الناس، وتقطع قصته قبل أن يكمل، ولا أن تصغي بشكل يدرك معه أنك تعرف القصة، أو إذا أخطأ في بعض فصولها فلا تصحح له ذلك فيعلم أنك كنت تعرفها، وأنه كان يهدر وقتك، ويندم علىٰ سرده لها.

من العادات السيئة المنتشرة بين الناس هي إذا تحدث أحد ما انشغل آخرون بالحديث دون أن يصغوا للمتحدث، وهي قمة الإستهتار وعدم الإحترام للمتحدث، فذلك يؤذيه ويضعفه ويفتره، وهو عمل بعيد عن الأخلاق.

وعندما تجلس في جمع سوياً، فلا تسرّ لمن قربك بالنجوى، ولا تضحك معه، لأن الباقين سيظنون أنك

تتناولهم وتتحدث عنهم، والنجوى هذه أمر سيء جداً.

عليك مراعاة الأدب في اللقاءات والسفر والرحلات والمدرسة وفي كل مكان، وتتلخص آداب العشرة في عدة جمل:

أحبّ الجميع، أذّ احترام الجميع كما ينبغي، راع الأدب، القَ الناس بابتسامة ورحابة وحرارة، احترم وإهتم بأعمال الآخرين وأقوالهم وعقائدهم؛ ليحبك الجميع ويحترموك.

لماذا يقع الواجب علىٰ الحكيم فقط؟

هل رأيت غنماً يرافق ذئباً ويسلم رأسه ورفاقه له؟ هل سمعت بطير يخدع طيراً آخر ويوقع به؟ هل يمكنك أن تعلم بقرة كيف يجب أن تسير، وكيف تعيش، وكيف تنادي؟ هل يمكنها خدمة باقي البقر أو خيانتهم؟

لا شك أن مثل هذه الأعمال لا تصدر عن الحيوانات، أما الإنسان فيمكنه أن يفعل ما يسعد الناس جميعاً أو ما يؤذيهم بل ويدمرهم. فپاستور مثلاً اكتشف الميكروب، فقضىٰ بذلك علىٰ ملايين الأعداء الذين تسببوا بموت البشر، وعلّم الإنسان كيف يكافح الميكروب. وجنكيزخان كان بشرياً أيضاً، لكنه أباد ملايين الأبرياء

وآلاف العلماء والشعراء والكتّاب، وبنىٰ منارات من آذان الناس وأعينهم ورؤسهم.

إذاً، الإنسان هو الذي يمكنه أن يكون جنكيزخان أو باستور. فمن واجب الإنسان أن يؤدي واجباً ومهمة، وأن يكون پاستوراً لا جنكيزخاناً، لأن الإنسان مخيّر، يمتلك فكراً وعقلاً، يمكنه فعل الحسن أو القبيح، خدمة الناس أو خيانتهم، أن يعيش سعيداً أو أن يكون كالحيوانات بل أضل منها. فالحيوانات كالآلات مجبرة علىٰ العيش لما أوجدت له دون اختيار لفعل الحسن أو القبيح. فمنذ مليوني عام والنمل يعيش ويغيّر من حياته وبيته ويتقدم حيناً ويتأخر أخرىٰ، لكن هل يمكنك أن تقترح علىٰ النمل طريقة أفضل لاتخاذ البيوت أو لجمع الحبوب وما شابه؟ إنه لن يقبل منك ولا يغيّر من دأبه.

لكن الإنسان ليس كذلك، فالمعلم يعطيك كل يوم فرضاً ما لأنك عاقل ويمكنك أداءه والإمتناع عن العمل السيء والإستماع لنصائح الكبار وتبيان ما تريد. لهذا فإن الله سبحانه أرسل الأنبياء للبشر فقط ليحددوا لهم واجباتهم وتكاليفهم، فمن يعمل بها يَسعد ويُسعد

الآخرين، ويمتنع عن الوحشية والسرقة والخيانة وإيذاء الآخرين.

وهناك أناس أصابهم الجنون، وفقدوا عقولهم، فسقط عنهم التكليف، ولا ينتقدهم أحد مهما فعلوا. والأطفال الصغار هكذا يعيشون حياة معينة خلقوا لأجلها، ولا يحدد لهم عقلهم التكاليف الخاصة.

ما هو الواجب الإجتماعي؟

أحد المفكرين يقول: الإنسان حيوان اجتماعي. وهو يريد بذلك أن علامة الإنسان هي العيش مع الجماعة، فإذا توجه الىٰ الصحراء، وعاش فيها وحيداً بعيداً عن الناس؛ لم يعدّ إنساناً. فالحيوان هو الذي يفكر بنفسه أولاده فقط، دون أن يهتم لشأن سائر الحيوانات، فيعمل ويصطاد ويركض هنا وهناك ليملأ بطنه ويسدّ جوعه. أما الإنسان فليس كذلك، لا يمكنه أن يعيش وحيداً، فتقاسم الأعمال مع الآخرين، البعض يخيط الملابس، والبعض يدرّس الأولاد، والبعض إذا وقعت الحرب حملوا السلاح للقتال والدفاع عن وطنهم ويعلمون الناس شؤون دينهم، ولكل من هؤلاء مهنته المحددة والمعروفة. فعلىٰ كل إنسان أن يعمل ويقدم لمجتمعه ما يحسنه مما ينتفع به الناس والوطن.

ولا يحق لأحد ما أن يقول (وما علاقتي بذلك) في الأعمال الإجتماعية، فالمجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكىٰ منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمىٰ. وعلىٰ كل فرد في المجتمع أن يهب لّدفع الخطر عن المجتمع وأفراده، فعندما يصاب أحد ما بالحمىٰ، ونعلم أن سبب إصابته تلك من تلوث المياه، فعلىٰ شركة المياه أن تقوم بواجبها، وعندما ندلي بأصواتنا لنائب المدينة أو مسؤول البلدية أو عضو الإتحاد والمجالس المحلية علينا أن نختار الشخص المناسب ليؤدي مهامه. هذا هو الواجب الإجتماعي الذي يملي علينا أن نخرج لندلي بصوتنا لرجل شريف صادق مشفق، لتسير الأمور بشكل صحيح، ولا ينبغي أن نقول وما علاقتنا بذلك، فإذا كنت لم تمرض حتى الآن، أو كان في بيتك ماء سالم ولم تمرض بسبب تلوث المياه، فإن إنسانيتك وأخلاقك تدفعك للإهتمام بالآخرين، لأنه إذا اهتم كل إنسان بمن حوله وآزرهم؛ فلن يضيق الأمر بأحد، ولن يعاني أحد، بل سيسير الجميع نحو الرقي والسعادة.

يقول الحكيم سعدي :

بني آدم أعضاء لبعضهم البعض
فقد خلقوا من جوهر واحد
إذا اشتكىٰ عضو من آفات الزمان
لم تستقر سائر الأعضاء
فإن كنت غاضياً عن محنة الآخرين
فلست أهلاً أن يقال لك إنسان[١]

أما إذا كنت مهتماً بشؤون الآخرين، فسيهتم الآخرون بشؤونك، فعندما تهتم بعمران مدينتك وبلدك، فستستفيد منهما لأنك تعيش فيهما. وأيما بلد يهتم كل واحد من أهله بنفسه فقط فسيكون كالصحراء التي تضم ملايين الحيوانات، ذلك لأن الإنسان هو الكائن المحب لأقرانه والذي يشاركهم ويخدمهم.

يجب أن تعود جهودك بالفائدة علىٰ المجتمع، عندئذٍ سيعطيك المجتمع أجرك. فالمجتمع كالجسد وأنت وأنا كاليد التي تحمل الطعام لا لتأكله هي، بل لتوصله الىٰ

---

(١) ترجمة لأشعار فارسية لسعدي، گلستان، ص٦٦.

الفم لينقله الىٰ البدن، ثم لتستفيد منه جميع أعضاء البدن، وتنال اليد حصتها من خلال البدن.

وعلينا نحن أيضاً أن نعمل من أجل الآخرين، لننال أجر عملنا من الآخرين.

زرعـوا فـأكـلـنـا، فـلـنـزرع لـيـأكـلـوا
تـأمـل فـكـلـنـا يـقـدم لـلآخـر[١]

(١) ترجمة لبيت شعر فارسي.

التضحية والفداء

الحياة محبوبة، وينبغي أن يسعىٰ الإنسان لتكون حياته يوماً بعد يوم أفضل فأفضل، ليعيش براحة وسرور، يستفيد من نعم هذه الدنيا ويلتذ بها. لكن قد يأتي اليوم الذي يتطلب من الإنسان يبيع شرفه وكرامته لأجل أن يعيش ويحصل علىٰ المال الكافي للعيش في حياة هادئة ومنزل جيد وطعام لذيذ وإسم وجاه.

وقد يأتي وقت يهاجم فيه العدو وطننا، وتسيطر القوات الأجنبية علىٰ بلادنا، ونضطر أن نرضخ لسلطتهم ونخضع لإرادتهم ونرضىٰ بالذل والهوان من أجل المحافظة علىٰ الحياة براحة والنوم بهدوء.

وقد نتربىٰ في ظل دين وعقيدة وعقلية تجعل منّا أناس لا دين لهم ومتهتكين، كل ذلك من أجل أن يتحكم فينا أولياء ذلك الدين وتلك العقيدة أو يفرضوا علينا

عقيدتهم، فنضطر أن نبيعهم ديننا ونتخلى لهم عن عقيدتنا وإيماننا من أجل أن نعيش أو أن يؤمن لنا العدو معيشتنا.

في هذه الحالات علينا أن نتخلى عن الحياة مهما كانت جميلة ولذيذة ومريحة، وأن نقدم أرواحنا وأنفسنا العزيزة ونضحي بها، لنحافظ بذلك علىٰ شرفنا ووطننا وديننا، لأن الشرف والدين أسمىٰ من الحياة، ولأن الحياة لا قيمة لها بدون الشرف والدين عند محبي الأوطان وعباد الله والشرفاء، مهما كانوا يمتلكون من أموال وبيوت وسيارات وأملاك وثروات. فعندما يشعرون أن عليهم التخلي عن شرفهم وعقيدتهم ليعيشوا، لكنهم يتخلون عن الحياة ويقدمون التضحيات حتى تزهق أنفسهم. وقد تحدث الله سبحانه وتعالىٰ عنهم في القرآن فقال: **﴿ولا تحسبنَّ الذينَ قتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بلْ أحياءٌ عندَ ربّهم يرزقونَ﴾** (آل عمران/ ١٦٩).

فأفضل الناس هم الذين يقدمون أنفسهم في سبيل الله والوطن والدين والشرف والكرامة، وكل بلد يفخر بوجود مثل هؤلاء بين أبنائه. وكما ذكر الإمام الحسين عليه السلام إذا كانت الأبدان للموت أوجدت، فموت

الفتىٰ بالسيف في الله أفضل. وقال ايضاً لقد خط الموت علىٰ ابن آدم مخط القلادة علىٰ جيد الفتاة.

وقال الفردوسي:

الـمـوت عـنـدي خـيـر مـن أن أعـيـش
عـبـداً، ولـكـن بـالموت أكـن حـراً
وأن نـقـتـل كـلـنـا دون بـاقِ
خـيـر مـن أن نـعـطـي الـبـلاد عـدواً

الموت بشرف ألف مرة أفضل من الحياة بذل، والتضحية من أجل الدين أفضل التضحيات البشرية، فها هو العباس بن علي عليه السلام ينشد عند قطع يده في سبيل دينه:

والـلـه إن قـطـعـتـمـو يـمـيـنـي
إني أحـامـي أبـداً عـن ديـنـي

وقال سيده الحسين عليه السلام:

إن كـان ديـن مـحـمـد لـن يـسـتـقـم
إلا بـقـتـلـي فـيـا سـيـوف خـذيـنـي

وعندما سُحب أحد العظماء وكان له منصب هام في

البلد، فسحب الىٰ ساحة الإعدام، ووقف الناس في الأطراف يحدقون به، فوقع نظره على زوجته، فرفع قبعته وحيّاها مودعاً، فنادته زوجته من بين الجموع: يا زوجي إن المنزلة التي نلتها اليوم خير عندي من كل مناصبك السابقة.

فما أجمل أن يتخبط الإنسان بدمه من أجل دينه ووطنه وإيمانه، وما أحقر أن يبيع الإنسان شرفه ووطنه ليعيش بعارٍ وهوان.

إطاعة القوانين

القانون في اليونان أدخل السجن أحد أكبر علماء البشرية أي (سقراط) فدخل تلامذته الىٰ السجن عند منتصف الليل، وقالوا له: لقد مهدنا لك طريق الهرب من هنا، فانهض لتهرب في الظلام. فأجابهم: لا ينبغي أن تكون النفس عزيزة عند الحكماء الىٰ حد مخالفة القانون والتمرد عليه. وماذا أقول للقانون لو كان شخصاً فقال لي: يا سقراط لقد تزوج والداك في ظلي، وأتو بك، وربّوك بأمري وعلموك حتى أصبحت عالماً، ثم تزوجت في ظلي ورزقت بالأبناء، وعشت في المجتمع حياة هانئة في ظل حكمي، والآن أضرّ بك أحد أحكامي، فرفضته وأذللتني ودست عليَّ، وأنت يا سقراط تعتبر نفسك عالماً فلماذا نكثت العهد ونكرت الجميل؟

القانون مقدس، فلولا وجود القانون في المجتمع

لعمّ الظلم وضاع الحق، ولا نقض الناس علىٰ بعضهم البعض كالوحوش.

ومن لا يحترم القوانين فقد ارتكب أكبر خيانة وذنب، وعلىٰ الجميع معاقبة مخالف القانون الخائن.

فعندما تدرس وتعيش وتكسب المال وتؤمن به معيشتك، وتنام الليل في بيتك دون خوف، وتسير في الشوارع باطمئنان، فإن كل ذلك من نعم القانون.

لذلك قيل: القانون السيء خير من عدمه، لأن العدل والنظام والترتيب والتقدم والرقي لا يكون إلاً في ظل القانون، ولا يمكن العيش في مجتمع لا يحترم فيه القانون.

حرية الآخرين

لا توجد كلمة في العالم أجمل وأطيب من كلمة (الحرية) فكم من رؤوس لرجال ونساء أحرار وشرفاء قد انفصلت عن أجسادهم في سبيل الحرية. وكم من دماء طاهرة سفكت علىٰ الأرض سعياً وراء الحرية.

فالإنسان الشريف يفضل العيش بحرية مع أكل خبز الشعير والنوم على التراب ولبس الخشن. علىٰ العيش براحة وترف مع العبودية. فالرجل الشريف هو الذي يحب الحياة بحرية، ويعتبر أن لا فرق بين الموت والعبودية.

لهذا قال الفردوسي:

الموت خير لي من أن أعيش
مرفهاً في قصر أكون فيه عبداً

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «إن لم يكن لكم دين،

فكونوا أحراراً في دنياكم».

ولكن ما اكبرها من أنانية وخسة أن يطلب الإنسان الحرية لنفسه فقط، ولا همّ له بالآخرين. فنحن عندما نكرّم شخصيات مثل جان دارك، وواشنطن، وستارخان، وغاندي وغيرهم فإننا نعزّهم لأنهم سعوا لكسب الحرية لشعوبهم، وليس لأنفسهم فقط، فعاشوا لسنوات طويلة في زنزانات السجون، وفقدوا حريتهم بل وأرواحهم ليهبوا الحرية للآخرين، ولو كانوا يناضلون من أجل حريتهم الشخصية لما كانت لهم كل تلك القيمة والمكانة، لذلك عرّفوا الحرية فقالوا: إن حدود الحرية تنتهي حيث تضر بحرية الآخرين. فأنت حر لتفكر كما تشاء وتقول ما تشاء وتعمل ما تشاء وتدرس ما تشاء، شرط أن لا تمنع بذلك الآخرين من التفكير والعمل والدرس.

وإن كانت الحرية جميلة فهي ليست كذلك لشخص محدد، بل للجميع. ولا ينبغي منح هذه النعمة الكبرىٰ لشخص واحد وإذا كان هناك من يضر بحرية الآخرين فينبغي سلبه حريته تلك.

الإنصاف

الإنصاف أسمىٰ من العدالة، فعندما يكون لك علىٰ أحد مال، وتجده ضعيفاً فقيراً، يعمل ليل نهار دون أن يتمكن من إشباع زوجته وأطفاله، وبالتالي فهو عاجز عن سدّ دينه لك. فالعدالة لا تنظر الىٰ الأمر بعين الرحمة، بل تقول ما دام هذا الرجل قد أقترض منك مالاً، فعليه أن يعيده لك في موعده. وإذا شكوته للمحاكم فإن قانون العدالة يعتقل ذلك الرجل، وإذا لم يكن لديه مال فيبيع أثاث بيته ليؤدي دينه.

أما الإنصاف فهو ينظر برحمة، فيقول صحيح أن لك بذمة الرجل مالاً، لكن بما أنه رجل مسكين وهو في ضيق مادي، فلا ينبغي لك الضغط عليه، وقلب حياته بسبب حقك عنده، إرحمه قليلاً وأنصفه، فمن أين سيأتيك بالمال، سامحه وأحسن لأسرته، أو اصبر عليه حتى

يتمكن من سداد دينه لك .

فالله عادل، لكنه محسن . ولو عاملنا بعدله دون أن يعفو عن أي ذنب نرتكبه، فإن عدالته تقضي بتعذيبنا . والعدالة تقول أن الرجل الشريف والمتقي إذا كان قد ارتكب في شبابه معصية فلابد أن يعاقب عليها، لكن الإنصاف يقول ينبغي العفو عن خطئه ذاك، لأنه أصبح رجلاً محسناً وشريفاً .

إذا كنت منصفاً فعليك أن تساعد من يستحق المساعدة، وأن تعطيه حقه فليس ذلك إنصافاً، إنه العدل الذي يجبرك أن تعطي كل ذي حق حقه . في حين أن الإنصاف يقول لك إعطِ الآخرين من حقك برضاك، ليكون الجميع رحماء فيما بينهم، وليتم جبران مشاكل البعض وقت معيشتهم . وإذا ما ابتليت يوماً ما فلعل الذين أحسنت إليهم يهبوا لمساعدتك، وعندما يكون أفراد المجتمع منصفين لبعضهم البعض عندئذٍ تصبح حياتهم سعيدة وجميلة، ويسير المجتمع نحو الرقيّ والتقدم والإزدهار، دون أن يكون فيه مسكين أو محتاج .

العالم يعمر بالإنصاف

والفرح تنشره قلوب المنصفين

لا تنكث بعهدك مازلت حياً

كان رسول الإسلامﷺ يعفو عن أعدائه، ويسامح الذين كانوا يريدون سفك دمه، لكنه تصرف بقسوة شديدة مع القبيلة التي نكثت بعهدها معه. كانت هناك قبيلة من اليهود قرب المدينة، وعقدت هذه القبيلة اليهودية عهداً مع المسلمين أن لا تعاديهم ولا تخونهم، لكنها خلال معركة الخندق نكثت بعهدها وتحالفت مع المشركين واستعدت لقتال المسلمين والقضاء عليهم. ثم انتصر المسلمون في المعركة، فأمر النبي أن يعاقبوا علىٰ خيانتهم تلك بأن تحفر آبار، وأن تقطع رؤوس جميع رجالهم وترمىٰ في البئر، وأن تصادر أموالهم.

هذه القسوة أرادت أن تفهم الناس جميعاً مدىٰ تعارض الخيانة والنكث بالعهود مع الأخلاق والشرف والمروءة. وأن علىٰ الرجل الشريف أن يفي بعهده مهما

كلفه ذلك من أضرار، بل حتى لو كلفه ذلك حياته.

ومن يفي بعهده يكن كريماً ومحترماً في قومه ومجتمعه، ويثق الجميع بكلامه وفعله، وهذا أسمىٰ شرف للإنسان.

قال الشاعر سنائي:

لاتنظر الىٰ فنون الرجل

بل أنظر إلىٰ وفائه بالعهد

فإن وجدته ناكثاً للعهد

فقد تجد فيه كل خبث وترد

والإسلام اعتبر نكث العهود من الكبائر، فقال الله تعالى في كتابه: **﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئوولا﴾** (الإسراء/ ٣٤). واعتبر الإسلام أن من علامات المؤمن الوفاء بالعهد.

الوعد والتوقيع

لقد وعدت. . لقد وقّعت.

عندما تُسمع هاتين الجملتين من رجل صاحب وجدان أخلاقي وشريف فإن قيمتهما تفوق ألف عقد ووثيقة وسند ورهن، فإذا قال رجل شريف إني أعد بكذا، فهذا يعني أنني سأفي بذلك حتى لو كلفني حياتي.

نجد في التاريخ بعض أمثال أولئك الرجال الذين ضحوا بأرواحهم حفاظاً علىٰ الوعد والتوقيع، وعندما نقرأ سيرتهم فإننا نمجدهم ونمتلىء سروراً وحبوراً.

أحد الشبان الشجعان كان قد قتل رجلاً آخر، فشكت زوجة المقتول وابنه ذلك الىٰ الخليفة وطالبا بقتل القاتل، وانهما لن يسكتا عن حقهما إلاّ بالإقتصاص منه وسفك دمه. فألقيَّ القبض على الشاب القاتل، وأحضر

الىٰ الخليفة، فأصدر الخليفة أمره بقتله. فقال له الشاب: إن طفلاً يتيماً أودع عندي، فاسمح لي أن أذهب وأجهز ثروته وأودعها عند أحد يهتم به من بعدي، ثم أعود.

فقال الخليفة من يضمنه؟ فلم يضمنه أحد، فقام الصحابي الجليل أبوذر الغفاري صاحب رسول الله ﷺ وضمنه. فذهب الشاب وتأخر، وأصرَّ ذوي المقتول علىٰ حقهم، واستيقن الجميع أن الشاب قد هرب. فأعد أبوذر نفسه للقتل عوضاً عن الشاب الذي ضمنه، وقبل تنفيذ الحكم ظهر الشاب وهو يلهث، وأعد نفسه للقتل، فتأثر الجميع بشجاعته وحفظه للوعد، فطلبوا من الخليفة العفو عنه، فأعلن الخليفة عن استعداده لدفع دية المقتول، لكن ذوي المقتول عفو عنه ولم يأخذوا الدية.

تأمل جيداً لو أن هذا الشاب فرّ ولم يعد، ولم يفِ بوعده لأبي ذر بالعودة، وقتل أبوذر لأنه صدّقه وضمنه؛ كم كنت تنفر من ذلك الشاب ومن فعله، وكم كنت تلعنه لعدم رؤيته، وكان ذكره مقرون دوماً بالعار. لكنه وفىٰ بوعده، فنجىٰ بنفسه، ونال الكرامة والإحترام في التاريخ.

الثبات والإستقامة

(يعقوب بن الليث)[١] رجل أراد أن يحرر قومه من الإضطهاد، ليكون بلده بيد أبنائه، فتحمل العناء الكثير حتى أعد جيشاً ليحارب به من إضطهدوهم، لكنه تعرض للهزيمة في أول مواجهة خاضها، فيئس وهرب من الخوف، فأخفىٰ نفسه عن أعين الأعداء في خرابة، جلس فيها يفكر في حياته ومستقبله ومستقبل بلده، وكان مغموماً جداً لهزيمته في الحرب. فاغرورقت عيناه بالدموع، وبينما هو ينظر الىٰ الحائط الذي أمامه وجد نملة تحمل حبة قمح كبيرة في فمها والحبة أكبر منها، فتتسلق الجدار حتى يرهقها التعب فتسقط حبة القمح من فمها، فتقفل نازلة لتلتقطها ثانية وثالثة دون أن تيئس وتكل حتى استطاعت ايصال حبة القمح الىٰ بيتها بعد عدة محاولات.

---

(١) مرّت ترجمته. «الناشر».

فتعلم يعقوب ذلك القائد القوي والمحارب من صبر هذه النملة الصغيرة الضعيفة وثباتها واستقامتها أن عليه أن لا يكل ويضعف أمام أول هزيمة تواجهه، فقال إن عليَّ أن أعيد المحاولة حتى لو هزمت ألف مرة، فلعلّي أفوز وانتصر في المرة الواحدة بعد الألف لئلا أكون أقل ثباتاً واستقامة من هذه النملة.

ولو كانت تلك النملة تضجر من التعب وتحبط وتصاب باليأس لما استطاعت أبداً أن تصل بحبة القمح الىٰ بيتها، ولبقيت جائعة في الشتاء وماتت، فلماذا أحبط وأصاب باليأس بسبب هزيمتي الأولىٰ.

فنهض من مكانه وتابع هدفه بأمل كبير بالنصر، فأعاد تشكيل قوته وحارب حتى انتصر وحرر بلده.

فإذا أردت أن تقوم بأمر ما عليك أولاً أن تفكر فيه ملياً، ثم تبدأ به، لكن لا تعجل لإتمامه، بل تحرك بصبر وأناة، ولا تصرف كل طاقتك علىٰ المحاولة الأولىٰ، بل تابعه شيئاً فشيئاً بهدوء وأناة لكن باستمرار ودوام حتى تنجزه.

وهذه القنوات الكبيرة التي تراها عند سفوح الجبال كانت قاسية وصخرية كالجبال نفسها، يصعب حفرها، لكن المياه الخفيفة والسائلة استطاعت أن تحفرها شيئاً فشيئاً فتشق في الجبال ممرات لها ووديان.

فعندما تواجه الصعوبات والضغوط في الحياة فلا تيأس ولا تضجر ولا تتخل عن مساعيك، بل تابع مسيرتك حتى تفلح، فالفلاح من نصيب الصبورين ذوي الثبات والإستقامة والهمة العالية الذين إذا بدأوا بعمل ما فلن يتخلوا عنه حتى يكملوه، ولا يسمحوا للشك والتردد أن ينال منهم.

العمل حياة والضعف موت

علامة الحياة العمل، فليس في الدنيا شيء ساكن لا يعمل. فالأرض والكواكب تدور حول الشمس دوماً، والشمس تؤدي مهمتها باستمرار دون توقف. والحيوانات كلها في حركة ونشاط، والنباتات لا تتوقف عن عملها أبداً. حتى الصخور والأتربة قد تظن أنها ساكنة دون حراك، لكن ذراتها تتحرك بسرعة فائقة لا يمكنك تصورها وهي تمارس عملها. ولو توقفت الأرض لدقيقة واحدة عن الدوران لحل الدمار بالعالم كله، فكل ما هو موجود في هذه الدنيا قد كلف بالقيام بعمل ما، ولا يكلّون عن عملهم ولا للحظة، ذلك لأن الحياة تعني السعي والعمل والتحرّك.

أنظر الىٰ الطفل تجده في حركة دائمة، يلعب ويسعىٰ ويركض الىٰ هنا وهناك، لا يهدأ ولا يكلّ، في

حين أن الشيوخ الكبار يمكنهم الجلوس دون حراك لساعات في صمت مطبق، يتحدثون أو يدخنون، أو انهم يجلسون دون أي عمل، ذلك لأن الطفل أكثر حياة منهم، والشيخ الكبير أقرب الىٰ الموت، فالموت سكون الجسد وتوقفه عن العمل، والميت هو الذي لا يعمل.

نابليون الملك الفرنسي المحارب يقول: (ما دمت حياً فلن أهدأ للحظة، فالراحة والموت عندي سواء).

والذي اخترع الكهرباء يقول: (عندما أعجز عن العمل أفضل أن أموت).

فإذا أراد الإنسان أن يعيش ويتقدم، عليه أن يسعىٰ ليل نهار. رسول الإسلام محمد ﷺ كان يساعد العمال بنفسه في حفر الخندق ويحمل الأحجار والصخور علىٰ كتفه. وكان علي عليه السلام يحفر بنفسه الآبار، ويستخرج المياه من البئر لليهود ويأخذ أجره علىٰ ذلك، ليعلما الناس جميعاً أن العمل فخر. فالبعض يتصور أن الزعامة والسيادة تأتي بترك العمل، وأن العمل للوضعاء.

الأثرياء اليابانيين كانوا إذا أرادوا إثبات أنهم من أسر

غنية كانوا يعدّون لأبنائهم أحذية خشبية مستديرة، فكانت تشل أقدام أبنائهم حتى إذا كبروا عجزوا عن السير، فيوضعون في عربات خاصة ليجرهم عدة عبيد أو خدم ليسيروا بهم في الشوارع ليدرك المارة أن هذا المشلول من الأعيان.

تلك كانت أفكار المتوحشين، في حين أن الناس المعاصرين الذين تلقوا التربية والحضارة يعتبرون العمل فخراً وعزاً، وأن الخبز إذا لم يكتسب بالجد والعمل فليس شريفاً وحلالاً.

سقراط الفيلسوف الكبير يقول: (العمل رأسمال السعادة والهناء).

إذهب واعمل ولا تقل ماهو العمل

فسُّر الخلود هو العمل[1]

فالراحة الزائدة والكسل والتسكع علامة الضعف والموت، علينا أن نعمل ونعمل، وأن نفخر بالعمل لنعيش شرفاء.

---

(١) ترجمة بيت للشاعر بهار ملك الشعراء، ديوانه ص١١٠٨.

الوقت أثمن من الذهب

يقول الأوروبيون أن الوقت من ذهب، لكن الحقيقة هي أن الوقت أثمن من الذهب كثيراً، لأنه عندما يكون هناك وقت يمكننا الحصول علىٰ الذهب، لكن عندما يذهب الوقت فلا يمكننا استعادته بالذهب. فمنذ أن وجد العالم وحتى يفنىٰ وينتهي سنتواجد في هذا العالم مرة واحدة فقط، يسمح لنا بالبقاء في هذه الحياة ستين عاماً تقريباً، نقضي منها عشرين عاماً في النوم، والنوم كالموت أيضاً، فيبقىٰ لنا أربعين عاماً فقط، نقضي منها ١٥ عاماً في تناول الطعام والاستراحة واللهو، فيبقىٰ لنا في الحقيقة ٢٥ عاماً فقط. لذلك تأمل قلة الوقت المتاح لنا، وكم هي قيمة هذا الوقت، إنها أغلىٰ وأثمن من الذهب حتماً، وكل دقيقة تذهب فإنها لن تعود، وقد فقدناها الىٰ الأبد، واقتربنا بنفس المقدار نحو الموت.

تأمل كم تقضي من هذا الوقت الثمين في التسكع والبطالة واللهو دون أن تجني له ثمناً وفائدة ولا تغتنمه في تعلم الأخلاق وبناء شخصية الإنسان الحقيقية، فتخسر بذلك رأسمال حياتك الثمين. جلسنا سوياً لسنوات متمادية نتحدث هباءاً ومزاحاً وضحكاً دون هوادة، نمنا الكثير، تسلينا ومرحنا الكثير، سافرنا وسحنا الكثير، فهدرنا وقتنا الثمين علىٰ مثل هذه الأعمال التي لا طائل منها، سائرين نحو الشيخوخة والموت.

فمنذ اللحظة الأولىٰ لخروجنا الىٰ هذه الدنيا بدأنا مسيرتنا السريعة نحو الموت مع كل لحظة، وها هي دقات الساعة تقول لنا أنتم تسيرون نحو الشيخوخة وستلاقون الموت حتماً، فأسرعوا واستغلوا الوقت ولا تهدوره في مالا ينفع، بل جدوا في العمل المفيد الباقي.

الأمر الوحيد الأثمن من الوقت هي الأخلاق والمعرفة، فمن يصرف وقته في تعلم المعارف وتلقي الأخلاق يربح الوقت. وأي عمل آخر لا يساوي إتلاف الوقت، علينا أن نكون بخلاء جداً في صرف الوقت، أن نكون حريصين علىٰ صرفه في العمل المفيد. ولا يمكننا

الإدعاء بأننا صرفنا وقتنا واستفدنا إلاً إذا كان في خدمة الناس وعبادة الله واكتساب الأخلاق الحميدة والعلوم المفيدة .

الزمالة والعشرة

خـــالـــط ذوي الأخـــلاق والـــشـــرف
ليكـــن طـــبـــعـــك خـــلـــوقـــاً مـــشـــرّفـــاً

إذا نبتت وردة في حقل من الأعلاف والشوك الكثيف فستنخبو شيئاً فشيئاً وتموت، لذلك تجد الفلاح ينظف أرضه من كل نبتة غير مفيدة ويعتبرها مضرّة. والإنسان كالوردة إذا جالس العلماء والمفكرين وذوي الأخلاق الحميدة فستكون أخلاقه أفضل وعلمه أكثر.

في مدينة (شيراز) هناك تراب خاص يستخدمه الناس في الحمامات العامة عوضاً عن الصابون، ودخل الشاعر سعدي الىٰ الحمام العام، فأعطاه أحد أصدقائه شيئاً من ذلك التراب ليستحم به، وبقية القصة اسمعها من سعدي حيث يقول شعراً ما ترجمته نثراً.

أعطيت طيناً ذا رائحة زكية في الحمام، أعطانيه صديق

عزيز، فسألت الطين أأنت مسك أم عبير، فقد أسكرتني رائحتك الزكية، فقال كنت طيناً مهيناً، لكني جالست الورد لمدة، فأثر فيَّ كمال الجليس، وإلاّ فلست سوىٰ تراب.

وفي القرآن الكريم نجد قصة أهل الكهف، وكانوا سبعة رجال أو ثمانية، هجروا مدينتهم بسبب الوضع الإيماني المتردي فيها، وخرجوا إلى الصحراء فارّين بدينهم هرباً من الشرك المفروض عليهم من قبل زعمائهم، مهاجرين الىٰ ربهم الحقيقي، وكان معهم كلب، ولما كان هذا الكلب قد صحبهم ورافقهم وتحمل العناء معهم فقد ذاع صيته وسمىٰ مقامه حتى ذكره الله في كتابه السماوي القرآن وامتدحه معهم. وفي المقابل فإن ابن نبي الله نوح عليه السلام قد قرّعه الله في القرآن لأنه كان جليس أناس سيئين عديمي الأخلاق، واعتبره الله إنه عمل غير صالح.

ابن نوح جالس السيئين
فخسر انتسابه لأسرة النبوة
وكلب أهل الكهف جالس
الصالحين عدة أيام فكان منهم

والسلام

الفهرس